

# القدس

مدينة الله...؟ أم مدينة داود...!

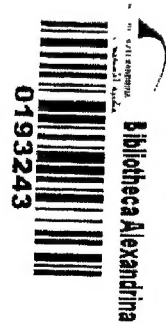
بقلم الأستاذ

الدكتور حسن ظاها

كلية الآداب - جامعة الاسكندرية

مطبعة جامعة الاسكندرية

١٩٧٠





# القدس

مدينة الله...؟ أم مدينة داود...!

بقلم الأستاذ

الدكتور حسن فاظا

كلية الآداب - جامعة الاسكندرية

مطبعة جامعة الاسكندرية

١٩٧٠



## من الحاضر إلى الماضي

لاسرائيل أسلوب لا يعوزه الدهاء في السياسة التي تنتهجها في مشكلة الشرق الأوسط ، وهو أسلوب تحاول به أن يطول بقاؤها بفلسطين ، في عالم يتميز بأن عمر الاستعمار فيه قصير ، وحياته في البلاد التي يتشبث بها رهينة مرة لا راحة فيها ولا اطمئنان . وأسلوبها هذا مبنى على «التعقيد» ، والانحراف بالمسائل عن الطريق الواضحة المستقيمة باثارة مشاكل جانبية مفاجئة ، من الأفضل لدى قادة الصهيونية الا ترتبط بفن تنسيق العلاقات الدولية ، والدخول اليها من أبوابها الواسعة ، بقلرب ما ترتبط بغيبات مظلمة ، وأساطير متكررة في ثياب التاريخ ، و «ميتافزيقيات» غير انسانية ، ان لم تنجح في خداع العالم بصورة نهائية فانها ، على الأقل ، تجره في دوامتها السحرية مدة من الزمن تطول أو تقصر بحسب الظروف . واسرائيل تخرع هذه «العقد» وتفتعلها بتوقيت دقيق بحيث تراكم وتراكم حتى تصبح ملفات «مشكلة الشرق الأوسط» في مكاتب هيئة الأمم المتحدة ، وأرشفات وزارات الخارجية في العالم أشبه بمجلدات التلمود ، التي لا تدعك تنفذ من اعتراض الا لتقع في اشكال ، أو تنزلق في شبهة ، أو تنساق إلى نقاش كلامي طويل ، ينتهى بأن تصرخ متسائلا وقد كادت اعصابك تنهار : والآن.. أين القول الفصل ؟.. أين الحلال والحرام ؟ وهيئات أن تجد جواباً ! وليس أشد ازعاجاً لكهنة السياسة الاسرائيلية في قديم الزمان وحديثه من «القول الفصل» ، ومن الحل العادل المنطقي الانساني المباشر ، وكلما ظهر في طريقها من يكشف لولبيتها ، وتعقيدها هذا للبسيط من الأمور ، مما لا يدع لها مجالاً للمغالطة والتهريج ، لجأت معه إلى الجريمة .. إلى القتل : هكنا كان موقفهم قديماً من نبيهم ارمياء ، ومن يوحنا المعمدان ، ومن عيسى المسيح ، وهكنا إلى أن نصل حديثاً إلى اغتيال اللورد موين وزير المستعمرات البريطاني أثناء الحرب العالمية الثانية ، والكرونت برنادوت السكرتير العام لهيئة الأمم المتحدة ، وما لا يحصى غيرهم من ضحايا الظلاميات الاسرائيلية المطبقة .

وهناك «عقدة» ظل الاسرائيليون يدخرونها للوقت الذى يصل بهم الحرج فى ميدان السياسة الدولية إلى ذروته ، وهى القدس . فبدأ المشروع الصهيونى المعاصر نشاطه فى أواخر القرن الماضى ، والقائمون عليه يحتاطون جداً فى لمس هذه العقدة ، حتى اضطروا طوال مدة مديدة إلى أن يتزودوا لها بوجهين يقولان كلامين مختلفين بحسب المستمعين .

الوجه الأول هو الوجه اليهودى القح الذى يتكلم إلى اليهود الاقحاح فلا يترك قسماً غليظاً ولا قولاً معسولاً فى الاستيلاء على القدس ، و «تطهيرها» من الاسلام والمسيحية الا قاله ، ولا يكاد ينعقد اجتماع صهيونى كبير أو صغير ، من اللقاء العابر المرتجل فى بعض الأعياد أو المناسبات ، إلى المؤتمرات الصهيونية العالمية ، حتى يطلق اسم «اورشليم» مرات ومرات ، وسط الحماس المتهوس الذى لا يعرف له رأساً من رجلين .. وأبسط ذلك وأقربه منالا هو الترجم بنص من المزامير (مزمور ١٣٧ / ٥ - ٦) يقول : «ان نسيبتك يا اورشليم فلتنسى يمينى . ليلتصق لسانى بحنكى ان لم أذكرك ، ان لم أرفع اورشليم على قمة ابتهاجى» ويقال ان تيودور هرتسل - زعيم الصهيونية الحديثة - كان قد وافق على اقتراح السياسى البريطانى «تشميرلين» الكبير فى اعطاء اليهود وطناً قومياً فى أوغنده بوسط افريقيا ، ولكن غلاة الصهيونية ثاورا على زعيمهم ، واعتمدوا على مساعده «ماكس نورداو» بالرصاص ، واتهموا «هرتسل» نفسه بالخيانة ، وعند اجتماع المؤتمر الصهيونى العالمى السادس بدأوا يهتفون ضده من القاعة حتى إذا ما بدأ ينشد «ان نسيبتك يا اورشليم» .. نسوا هم كل شيء ، وصفا له الجلو ، وسلمت له الزعامة ، بعد أن سلمت لهذه الجماعة الهستيرية «مدينة داود» .

وأما الوجه الثانى ، فتلفت به الصهيونية إلى الأمم الأخرى ، تلتفت لتقول لهم كلاماً معسولاً أيضاً عن «المدينة المتحف» ، «المدينة المقدسة» لكل الممال والأديان ، «مدينة الله» . وكانت اسرائيل بهذا الوجه تستجلب رضى رأى العام المسيحى فى أوروبا وأمريكا ، وتخذل رأى العام الاسلامى فى افريقيا وآسيا ، وتهرب من نقمة العلمانية واللاعصرية فى العالم أجمع .

وهكذا جعلوا عاصمتهم أولاً «تل أبيب» لا «القدس» وقنعوا من ارضاء بسطاء اليهود في العالم ببناء «اروشليم جديدة» على أطراف المدينة التاريخية تتكون من بضعة أحياء إلى الغرب والشمال أشهرها «رحيبا» و«مخى يهودا» و«كرم ابراهام» ثم أضافوا إليها أحياء عربية اغتصبوها بالارهاب مثل «البقعة» و«القطمون» و«بيت صفا» وغيرها . وجعلوا في حكومتهم وزارة خاصة اسمها «وزارة الشؤون الدينية» ، ورضوا بأن تبقى المدينة القديمة «القدس الشريف» بالمسجد الأقصى وكنيسة القيامة وغيرها من المعالم والمشاهد المسيحية والاسلامية المقدسة جزءاً من المملكة الأردنية يفصله عن اسرائيل سور معترف به كحدود دولية من هيئة الأمم المتحدة .

ثم خطت الصهيونية خطواتها الجريئة في حرب يونيه ١٩٦٧ فأزالت هذا السور واحتلت القدس التاريخية ضمن ما احتلت - وما تزال - من الأراضي العربية داخل حدود الأردن وسوريا والجمهورية العربية المتحدة ، وتسهرت فأعلنت «توحيد القدس» أى ضم القدس الشرقية - وهى المدينة العربية التاريخية - إلى «أورشليم الجديدة» ، وادخلها في مخطط «تهويد» معلوم مرسوم . ولكى يبتلع العالم كل هذه الملاحظات دون صياح كثير قسم قادة الصهيونية أنفسهم إلى «جوقات» كل منها يتجه بصوته جهة خاصة يلقي فيها بالبيانات والتصريحات المناسبة : «بن جوريون» و«موسى ديان» وبقية «الكورس القومى» يعلنون انه لا اسرائيل بدون القدس التاريخية، «مدينة داود» ، وأن الحائط الدولى الفاصل بين القدس القديمة شرقاً والجديدة غرباً كان وصمة في جبين الشعب اليهودى ، وأن المدينة كلها يهودية مائة فى المائة بماضيها ولا بد أن تصبح كذلك فى مستقبلها . وفى نفس الوقت يقف فى الجهة الأخرى «الكورس الدبلوماسى» بقيادة «ابا ايبان» و«يغال آلون» ليوكد أن القدس «مدينة الله» وأن المعالم المقدسة فيها لها حصانة تماوية لا يمكن المساس بها ، وأن المدينة المقدسة مفتوحة على مصراعها للناس جميعاً من كل الملل والنحل وأنها ستظل كذلك .

وترسب في الرأي العام العالمي ، في العقل الباطن للناس ، انطباعات هي وحدها التي أرادها اليهود ، أنهم أصحاب الحق الشرعي والتاريخي الأول في هذه المدينة ، وأنهم لا يتكلمون من مركز القوة فحسب ، بعد نكسة يونيو ١٩٦٧ ، بل من سجلات التاريخ أيضاً . وكاد العالم أن يتلع ما شاءت الصهيونية بدون صياح كثير .

ثم تشتد المقاومة الفلسطينية في كل مكان ، وتصمد الأمم العربية الواقفة على خط المواجهة ، ويطول صمودها بما يخيب ظن إسرائيل ، بل أنها لا تكفي بالدفاع المتكافئ عن مواقعها فتلقن القوات الاسرائيلية الضاربة ، كلما حدث اشتباك ، درساً في ضرورة التروى والتفكير الطويل قبل الدخول في اشتباكات أخرى ، وتخرج من جزع الهزيمة ومرارة الدفاع المستमित إلى امكانيات التخطيط للمستقبل ، ويبدأ ذلك بتنسيق كامل بين الجبهات الثلاث ، ثم بينها وبين قيادة الكفاح الفلسطيني المسلح ، على نحو يجعل الغلاة من قادة الصهيونية قلقين على المستقبل جداً . فالانتصار السهل في معركة محلية خاطفة ، قد حل محله خطر الحرب الشاملة إذا هم اصرروا على طلباتهم . والوقوف خلف المدافع عند خطوط وقف اطلاق النار سنين طويلة ، سيزر الصورة الرائعة التي رسمتها الدعاية للصهيونية للجيش الاسرائيلي الذي لا يغلب ، بين جماهير اليهود الطيبين البسطاء في العالم ، الذين يعيشون على رومانسية عسكرية حاملة تستمد عناصرها من قصة داود وتغلبه على العملاق جالوت ، هذا فضلاً عن أن وقوف السنين الطوال خلف المدافع سيحد أيضاً من الانتاج ، وسيصيب بالعمى والجرب مواسم الحج والسياحة ، وستطلب المليارات من الليرات الاسرائيلية ثمناً لهذا الترف الذي تتحاشاه أكبر الأمم وأغناها ، وسيترك لحلفاء اسرائيل والواقفين وراءها فرصة طويلة للتأمل والتفكير الهادئ في المصالح الحقيقية والدائمة لشعوبهم ، ستنتهي غالباً بانفضاضهم عنها كلياً أو جزئياً . وقد بدأ ذلك فعلاً بتخلي فرنسا عن تبنيها للصهيونية ، وأعقب ذلك انكماشاً من جانب إنجلترا وإيطاليا وتركيا والارجنتين وغيرها من دول العالم في موقفها من الصهيونية .



فى وسط هذا الدخان الكثيف ، يشب حريق المسجد الأقصى ، ولأمر ما تحرص اسرائيل على أن تعلن منذ بداية التحقيق أن المسئول عن هذه الجريمة «مايكل روهين» ليس يهودياً ولا اسرائيلياً بل شاب استرالى من اتباع طائفة مسيحية متطرفة ، ولكن العالم لا يتلخ ذلك بسهولة ، ويبدأ القلق ، لا بين المسلمين وحدهم ولكن بين بجاهير العالم المسيحى أيضاً . وتذهب اسرائيل فى الاعتذار عن أقل ما يمكن اتهامها به وهو الاهمال فى القيام بمسئولياتها عن أمن الاماكن المقدسة وسلامتها كل مذهب . ولكن حججها تبدو واهية هزيلة لا تفلح فى ازالة القلق الشديد من نفوس غير اليهود فى الشرق والغرب . ويقوم وزير خارجيتها «ابا ايبان» بجولاته التقليدية ، لا يألو فيها جهداً ، حتى يصل إلى الفاتيكان وإلى لقاء قداسة البابا بولس السادس نفسه ، ولكن المقابلة «التاريخية» لا تأتى الا بنتائج «سلبية» . وتعلن رئيسة الوزراء السيدة «جولدا ماير» عن عزم الحكومة الاسرائيلية على ترميم المسجد الأقصى على نفقتها — كمجرد عملية تخريب ، ناجحة بكل أسف ، لمؤتمر القمة الاسلامى .

كل هذا «والعقل الباطن» للعالم كله ما يزال ينقع فى تاريخ فولكلورى موداه كما قلنا أن القدس «مدينة داود» وأن ما يحدث فيها الآن — على بشاعته — هو صراع بين «ظواهر» طارئة وبين تاريخ قديم يريد أن يعيد نفسه . فلنعد إذن إلى التاريخ ولنتركه يقول ما عنده باختصار .

### اورشليم (القدس) قبل العبريين

أقدم النقوش التى ورد فيها ذكر هذه المدينة موجودة عندنا فى المتحف المصرى بالقاهرة ، فى مجموعة اللوحات المكتوبة بالخط المسارى واللغة البابلية (لغة العراق القديم) تتخللها شروح باللغة الكنعانية (لغة فلسطين القديمة) . وهذه النقوش تسمى «لوحات تل العمارنة» وقد عثر عليها فى أوائل القرن العشرين فى هذه المنطقة من محافظة أسيوط ، وهى وثائق دبلوماسية ترجع إلى عهد الفرعون أمنوفيس الثالث (من ١٤١١ إلى ١٣٧٥ قبل الميلاد) وابنه اخناتون ( ١٣٧٥ — ١٣٥٠ ق . م ) .

تسمى اورشليم (القدس) في هذه النقوش «اوروسالم» . ففي رسالة كتبها «عبدحييا» إلى أمينوفيس الثالث نجد أن الأول هو حاكم القدس «اوروسالم» من قبل فرعون ، وأنه يستنجد بمدد عسكري لصد غارات شراذم من العجر الرحل اسمهم «حيرو» اتفق الباحثون على أنهم «العبريون» كما ذكر ذلك الاثرى «بندلبورى» الذى أشرف زمناً طويلاً على الحفائر في هذه المنطقة وألف فيها كتابه المشهور «حفائر تل العمارنة» . ويقول المؤلف نفسه ان معبد «آتون» في تل العمارنة بخطته المعمارية المتميزة ، وبالخلفية الدينية التى جعلته قبلة للناس كافة هو الذى ألهم بناء المعابد في بلاد النوبة والآسيويين في اورشليم فكرة «المعبد المركزى» أو «المعبد القبة» الذى يتجه اليه الناس اليه الناس جميعاً في صلاتهم ويأتون اليه في حجهم .

نجد اسم اورشليم بعد هذا التاريخ يتكرر في لغات أخرى ، ففي نقوش الامبراطور الاشورى سنحاريب (حول ٧٠٠ ق . م ) يرد اسمها هكذا «اوروسليسو» وفي العبرية «يروشاليم» وفي النقوش اليونانية من عهد الاسكندر الأكبر (حوالى ٣٣٠ ق . م . ) وردت بلفظ «هروسوليا» أو «سوليا» باختصار ، وانتشر اسمها من الكتاب المقدس في جميع لغات العالم تقريباً .

أما اسم «القدس» فلا بد أنه رافق المدينة منذ بداية تاريخها ، أى منذ ما قبل العبريين عندما أقيمت فيها لأول مرة أماكن مقدسة خاصة ببعض العبادات القديمة ، وعلى أية حال فإن المؤرخ اليونانى هيرودوت (٤٨٤ - ٤٢٥ ق . م . ) لم يذكر في تاريخه المشهور اسم اورشليم ولكنه ذكر مدينة كبيرة في الجزء «الفلسطينى» من الشام وسمها (قديتس) مرتين في الجزء الثانى والثالث من تاريخه . ويقول المستشرق اليهودى الفرنسى «سالومون مونك» في كتابه «فلسطين» ان هذا الاسم على الأرجح هو «القدس» محرفاً في اليونانية عن النطق الارامى «قديشتا» . وحتى اليهود في الكتاب المقدس قد اطلقوا عليها أحياناً اسم «مدينة القدس» (اشعيا ٤٨/٢ ، نحemia ١١/١) و «جبل القدس» (اشعيا ٢٧/١٣) كما سميت «مدينة الله» (المزامير ٤٨/١) «مدينة الحق» (زكريا ٨/٣) .

واسم «اورشليم» ليس عبرياً أصيلاً ، فقد كانت تحمل هذا الاسم قبل دخول العبريين اليها بشهادة نص تل العمارنة ، وبدليل أن اليهود وجدوا صعوبة في كتابة اسمها باللغة العبرية «يروشاليم» فهذه الياء الواقعة قبل الميم الأخيرة لم تكن تثبت في الكتابة العبرية ، وقد كتبت بدونها في اسفار العهد القديم ٦٥٦ مرة وكتبت بها ست مرات فقط ، ولذلك نص علماء التلمود على وجوب كتابتها بلأياء (التوسفتا ، كتاب الصوم (تعنيت) ٥/١٦) .

أما معنى «اورشليم» فمختلف فيه أيضاً ، وارجح الأراء من الناحية العلمية انها مركبة من «أور» بمعنى موضع أو مدينة و «شلم» وهو اسم اله وثني لسكان فلسطين الأصليين هو «إله السلام» — بالسخرية التاريخ ! . فالمدينة اذن كانت مكرسة لاله السلام حتى وصل العبريون . وهناك من يقول ان كلمة «اور» معناها الميراث ، فيكون «اورشليم» بمعنى ميراث السلام . أما أحبار اليهود فيدعون أن سام بن نوح قد سماها «شلم» أى السلام وان — ابراهيم الخليل قد سماها «يرأه» وهى بمعنى الخوف باللغة العبرية فقرر الله أن يسميها بالاسمين جميعاً «يرأه — شلم» أى «اورشليم» بمعنى الخوف والسلام (المدراش — الشرح الكبير على سفر التكوين «بريشيت ربا — ٥٧) وبنوا على هذه التخريجات الفولكلورية عقائد رهيبة حول السلام المتولد عن الرعب . وقيل أيضاً أن «يرو» يمكن أن تكون فى اللغات السامية بمعنى «اله» ويكون اسم المدينة بكل ساطة «اله السلام» .

أولاً ولو توفرت الأدلة على أن سام بن نوح هو الذى سمي المدينة باسمها لوافقنا احبار اليهود على أن المدينة نفسها ترجع إلى عهد سيدنا نوح ، ولكن لم يقل أحد غيرهم بذلك ، حتى التوراة نفسها ، فانها تتحدث عن «اورشليم» لأول مرة فى زمن ابراهيم (حوالى سنة ١٩٠٠ ق . م .) وكان اسمها «شاليم» فقط ، وكان ملكها من سكان فلسطين الاصليين ، ويبدو من السياق أنه كان يحكم حكماً دينياً ، تقول التوراة (سفر التكوين ١٨/١٤) «وملكيصدق ملك شاليم أخرج خبزاً ونيبداً ، وكان كاهناً لله العلى ، وباركه وقال :»

مبارك ابرام من الله العلى مالك السماوات والأرض» . فاورشليم (القدس) كانت مدينة مباركة لله العلى من قبل داود بل من قبل ابراهيم أيضاً .

وعلى عهد يوشع بن نون خليفة موسى (حوالى ١٤٥٠ ق . م . ) كان العبريون قد أصبحوا بعشائهم التى تهدد أمن المدن الفلسطينية خطراً يحسب حسابه ، ويؤكد ذلك نص تل العمارنة الذى أشرنا اليه . لذلك نجد تحالفاً يعقد بين أمراء الفلسطينيين على أثر انتصار يوشع بن نون فى أرنا وعاء وجبعون ، (يوشع ٣/١٠ - ٤) «فارسل أدونىصدق ملك اورشليم إلى هوام ملك حبرون (الخليل) ، وفرآم ملك يرموت ، ويافع ملك لكيش ، ودبير ملك عجلون» . ولكن يوشع بن نون ينشر الرهبة فى كل فلسطين فتخضع له بعض البلاد ويحاربه البعض الآخر ، ويصالحه فريق من «الخائفين» على امتيازات معينة يتنازلون عنها للعبريين . وكانت «اورشليم» من المدن الفلسطينية التى قاومت الغزو قروناً طويلة . فثلاً نجد يوشع بن نون نفسه يجعلها فى نصيب قبيلتي بنيامين ويهوذا من أسباط بني اسرائيل ، ولكنهما لم يستطيعا - ولمدة طويلة جداً - طرد سكانها الأصليين «اليبوسيين» وهم إحدى القبائل الفلسطينية القديمة ، (يوشع ٦٣/١٥) : «وأما اليبوسيون الساكنون فى اورشليم فلم يقدر بنو يهوذا على طردهم فسكن اليبوسيون مع بني يهوذا فى اورشليم الى هذا اليوم» . والمقصود اليوم الذى يروى فيه الراوية هذه الوقائع عن يوشع وبعد وفاته بمدة علمها عند الله . وبعد موت يوشع بن نون أعاد سبط يهوذا الكرة على اورشليم ، «وحارب بنو يهوذا اورشليم وأخذوها وضربوها بحد السيف وأشعلوا المدينة بالنار» ، سفر القضاة ٨/١) . أما سبط بنيامين فانهم فشلوا كذلك فى طرد اليبوسيين وسكنوا معهم «الى هذا اليوم» (قضاة ٢١/١) .

لذلك بقيت اورشليم تسمى «يبوس» أو «مدينة اليبوسيين» كما جاء فى سفر القضاة (١٩) ، وفى هذا الموضع نجد نصاً يستحق الانتباه ، حين يقول فى سياق القصة التى يروىها : ... «وفىها هم عند ييبوس ، وقد انحدر النهار جداً ، قال الغلام لسيده : تعال نميل إلى مدينة اليبوسيين هذه ونبيت

فيها . فقال له سيده : لا نميل إلى مدينة غريبة حيث لا أحد من بني اسرائيل هنا .

وسرى ان المدينة المقدسة ظلت إلى عهد داود لليوسيين ، سكانها الأصليين من شعب فلسطين . ومعروف أن داود عاش حوالي سنة ألف قبل الميلاد ، وبالتالي ظلت مدينة «السلام» من أول ما لقيناها في التوراة على أيام ابراهيم إلى تلك الفترة — نحو ألف سنة — تقاوم التسلسل العبري ، والمطامع اليهودية فلا ينال الاسرائيليون منها الا بالتمخرب والاحراق حيناً أو بالمساكنة والتعايش السلمى أحياناً .

ومع داود فقط تبدأ «عقدة اورشليم» مدينة الله ومدينة السلام ومدينة اليوسيين الفلسطينيين منذ ... منذ ما قبل التاريخ كما أثبتت ذلك أحدث الحفائر التي أجريت في المنطقة . ومن المستحسن قبل أن نخطو الخطوات الأولى نحو «اورشليم اليهود» أن نتصور بما يمكن من ايجاز والوضوح طبيعة اقليم القدس وموقعها .

تقع القدس على خط عرض ٣١° ٤٦' - ٤٥° شمال خط الاستواء ، وعلى خط طول ٣٥° ١٣' - ٢٥° شرق جرينتش ، وهي هضبة غير مستوية تماماً يتراوح ارتفاعها بين ٢١٣٠ ، ٢٤٦٩ قدماً . وجوها قارى صحراوى إلى حد كبير ، فالحرارة فيها قد تتجاوز ٣٠° صيفاً وقد تنزل إلى خمس درجات تحت الصفر شتاء ، كما أن التفاوت في الحرارة كبير بين النهار والليل ، ومطرها شتوى متوسط ، ورطوبتها متوسطة أيضاً ، ويندر بها الثلج . وليس بها أنهار ، وانما تحيط بها عيون كثيرة تتفاوت في غزارة الماء وصلاحيته للشرب ، وتندفع من بعض هذه العيون جداول مؤقتة بهطول الأمطار . وكانت المدينة إلى عهد ليس بالبعيد تعتمد أساساً على تجميع مياه الأمطار في صهاريج وآبار أعدت لهذا الغرض ، وأعلى مرتفعاتها يوجد على حافتها الشرقية والجنوبية الغربية والشمالية ، ولذلك اعتبرت منذ القدم موقعاً استراتيجياً قوياً جداً واشتهرت بأنها لا تظهر عند الزحف عليها من بعد .

بينما تستطيع حاميتها أن تكشف تحركات المهاجمين لها وهم ما يزالون على مسافة طويلة .

وأهم جبالها هي :

١ - جبل الزيتون :

وهو المواجه لأسوار الحرم من الجهة الشرقية ، يفصله عنه واد عميق سريع الانحدار هو «وادي قدرون» ، وامتدادها من الجنوب إلى الشمال . وهو من الوجهة التاريخية من أهم الجبال المحيطة بالقدس ، والتلمود يسميه «جبل المسح» أي جبل التتويج ، لأنهم يأخذون من زيتونه الزيت المقدس الذي يستعمل في تتويج ملوكهم ، وعليه كانت تحرق بقرة القربان الحمراء (في التلمود ، وهي في القرآن «صفراء فاقع لونها» ) ، وكانوا يستخدمون الرماد المتخلف عن احراقها في تطهير الهيكل واعادة تكريسها إذا دنس ، وهي عادة وثنية منتشرة في هذه المنطقة قبل نزول الديانات السماوية . وفي أسفل هذا الجبل توجد حديقة المعصرة «جسماي» التي اكتسبت ذكريات قدسية لدى المسيحيين من صلاة يسوع عندها وهو في الزرع الأخير . وفي أعلاه مغارة القي فيها المسيح بعض تعائمه ، والتقى بحوارييه قبل صعوده إلى السماء . وعليه بكى المسيح على «أورشليم» ، وحياء المؤمنين به بالأغصان الخضراء يوم أحد السعف الذي يتقدم الفصح . والعرب يسمونه اليوم «جبل الطور» .

٢ - جبل بطن هوا :

وهو امتداد جبل الزيتون في الزاوية الجنوبية الشرقية للقدس يفصله عنها «وادي سلوان» الذي يتصل في هذه النقطة نفسها بوادي قدرون . ويسميه اليهود «هارهامشحيث» أي «الجبل الفاضح» ، ويزعمون أن سليمان أقام عليه المعابد الوثنية لنسائه الاجنبيات ، وأنه هو المقصود في سفر الملوك الأول ١١/١ - ٨ : «وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون ، موآبيات وعمونيات ، وأدوميات ، وصيدونيات ، وحيثيات ، من الأمم

الذين قال عنهم الرب لبني اسرائيل لا تدخلون اليهم وهم لا يدخلون اليكم ، لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم . فالتصق سليمان بهؤلاء بالحب ، وكانت له سبعة من النساء الحرائر وثلثمائة من السراى . فأملت نساؤه قلبه ، وكان في زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى ، ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب الهه كقلب داود أبيه . فذهب سليمان وراء عشتروت الالهة الصيدونيين وملكوم رجس العمونيين ، وعمل سليمان الشر في عيني الرب ، ولم يتبع الرب تماماً كداود أبيه . حينئذ بنى سليمان معبداً لكموش ، رجس المؤابيين ، على الجبل الذى تجاه اورشليم . ولمولك رجس بنى عمون . وهكذا فعل لجميع نساؤه الأجنبية اللواتي كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن .

### ٣ - جبل صهيون :

في الجنوب الغربي للقدس القديمة ، وكانت عليه قلعة اليوسيين التي انزعها داود منهم بالحرب ، ثم نقل اليها قاعدة حكمه التي كانت حتى السنة الثامنة لتولية الملك في جبل «جرزيم» بالقرب من نابلس شمالاً . وسماه منذ هذا الوقت «مدينة داود» . وكان يفصل جبل صهيون قديماً عن هضبة القدس جبل أقل ارتفاعاً يمتد منحنيّاً على شكل هلال إلى الشمال الشرق من صهيون ، وكان يمر بين الجبلين واد ضيق كان يسمى حسب قول المؤرخ اليهودي يوسفوس (من القرن الأول الميلادي) «وادي الجبانة» التيروبويون» أى صانعي الجينة، وكان يمتد من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي حيث يتصل بوادي سلوان، الذي يتصل بدوره بوادي قدرون شرقاً . وهذا الجبل الصغير لم يرد له اسم خاص في الكتاب المقدس ، ولكن في عهد الملك اليوناني السلوقي انطيوخوس الرابع (ايفانوس) الذي حكم الشام من ١٧٥ إلى ١٦٤ ق . م . ثار اليهو دعلى حكمه فحضر وقمع ثورتهم وبنى على هذا الجبل الصغير المواجه للقدس من الغرب قلعة سماها «أكرا» ومن ثم أصبح هذا الجبل يسمى :

#### ٤ - جبل اكرا

#### ٥ - جبل موريا

أو جبل بيت المقدس ، أو بالاختصار «الحرم» حيث المسجد الأقصى وقد ورد اسم «موريا» في التوراة (التكوين ٢٢/٢) في قصة الذبيح الذي أمر الله ابراهيم أن يقدمه قرباناً وحدد له هذا الموضع ليذبح فيه ابنه اسحق والموضع ما يزال حتى الآن محل خلاف كبير في هذه القضية بين الباحثين وبين اليهود أنفسهم ، فاليهود السامرة يرون أن الحادثة كانت على جبل جزيم القريب من نابلس ، حيث قام أقدم هيكل لبنى اسرائيل وهو الذي جاء داود فأبطله وعطله بعد أن نقل عاصمته إلى القدس ، أما طوائف اليهود الأخرى فتزعم أن وقفة ابراهيم بابنه كانت على هذا الجبل بالقدس ، وعلى الصخرة الشريفة بالذات . وأكثر المسلمين يعتقدون أنه اسماعيل .

#### ٦ - جبل رأس المشارف ، سكوبوس :

. ويسميه التلمود «جبل المراقبين» (هارهاصوفيم) وهو امتداد لجبل الزيتون من الشمال الشرقى إلى الشمال ، يفصل بينهما منخفض يسمى «عقبة الصوان» .

٧ - ويبدو أنه كان في قديم الزمان جبل يقوم بين جبل سكوبوالس وبين هضبة الحرم «جبل موريا» ذكره يوسفوس في كتابه (حرب اليهود - الجزء الأول ، الباب الخامس) وسماه «بزيوتا» أى «بيت الزيتون» أو «منبت الزيتون» . ولما تولى «اجريبا الأول» (٤١ - ٤٤ ميلادية) وهو من أسرة هيرودس التي اهتمت كثيراً بتجميل القدس كما سترى ، ردم ما بين «جبل موريا» وجبل «بزيوتا» ومد أسوار المدينة إلى ما وراء هذا الجبل الأخير بحيث أصبح حياً من أحياء القدس كان يسمى «المدينة الجديدة» .

وعلى ذكر هذا الردم بين جبلين فقد حدث في القدس نفسها قبل ذلك ، في حكم الأمير اليهودى المكابى شمعون من أسرة الحشمونيين التي كانت تحكم



فلسطين حكماً دينياً من قبل اليونان . نفول في هذا الوقت (سنة ١٤٠ ق . م .)  
قام شمعون بردم ما بين تل «اكرا» حيث قلعة انطيوخوس السلوقي وبين جبل  
الحرم «موريا» بحيث صاراً شيئاً واحداً أيضاً .

وهكذا إذا أخرجنا جبل الزيتون وامتداده جنوباً وشمالاً ، لانفصاله  
التام عن القدس بالمنخفضات والوديان الشرقية والجنوبية والجنوبية الشرقية  
وأخذنا في الاعتبار أن جبل الحرم «موريا» أصبح يضم جبل «بزيثا» من  
الشمال الغربي ، وجبل «اكرا» من الجنوب الشرقي ، أمكننا أن نقول  
أن المدينة كانت تقوم بهذا الشكل على مرتفعين اثنين هما هضبة «الحرم» ، وقبالتها  
في الجنوب الشرقي «جبل صهيون» يفصل بينهما جزء من وادي الجبلان  
«تروبوبون» ، وهذا ما لاحظته المؤرخ اللاتيني تاسيت في كتابه (الجزء  
الخامس) .

ويذكر يوسفوس أيضاً أنه كانت هناك قنطرة تربط هضبة الحرم «جبل  
موريا» بالزاوية الشمالية الشرقية لجبل صهيون حيث كان يوجد كورنيش  
يقال له باليونانية (كسيسنوس) وهذا العمل يرجع أيضاً إلى أمراء الحشمونيين  
الذين حكموا باسم اليونان في فلسطين ، فهم الذين ردموا جزءاً من الوادي  
وبنوا قنطرة قائمة على عقود مقوسة توصل من «مدينة داود» على جبل صهيون  
إلى «الحرم» على جبل موريا وهو الطريق الذي يمتد الآن من الحرم إلى باب  
السلسلة .

ولا نستطيع وقد أوضحنا مواقع جبال القدس وما طرأ عليها الآن نشير  
إلى المنخفضات أو الوديان الفاصلة بينها مجتمعة بعد أن سبقت الإشارة لبعضها  
في مواقعها .

#### ١ - وادي قدرون شرقاً :

وهو اسم جدول الماء الذي يجري في قاعه عندما يسقط المطر ، وقد

اشتهر باسم «وادی یهوشافاط» (سفر یوئیل ٣/٢، ١٢) وطوله نحو كيلو مترين يفصل السور الشرقى للقدس عن جبل الزيتون ، ويعتقد كثير من الطوائف المسيحية واليهودية أن الحشر يوم القيامة سيكون في هذا الوادى اعتماداً على قول النبی یوئیل : «أحمل كل الأمم وانزلهم إلى وادی یهوشافاط وأحاکمهم هناك» ، وفى الموضع الثانى الذى أشرنا اليه يقول النبی یوئیل «تنهض الأمم وتصعد إلى وادی یهوشافاط لانى هناك أجلس لأحاکم جميع الأمم من كل ناحية» .

## ٢ - وادی ساوان جنوباً :

وهو اسم النبع الموجود فى هذا الوادى ، والذى ينساب منه مجرى ماء اسمه جيحون ، أما الوادى نفسه فكان يحمل قبل مجى العبريين اسم قبيلة «هم» بتشديد النون ، فكان يقال «وادی هم» أو «وادی بنى هم» وكلمة الوادى كانت فى لغات سامية قديمة متعددة هى كلمة «جى» ، فكان يقال «جيهنم» أى هذا الوادى نفسه ، وكانت هذه القبيلة ، فى الوثنية البعيدة فى القدم ، تقدم الضحايا البشرية إلى الهها «مولك» بذبحها والقائها فى النار ، ومن هذه الصورة أطلق اسم «جهنم» على مكان العذاب فى الآخرة للشبه القائم بينهما . ووادی «هم» أو «سلوان» أو «جيحون» هذا يمتد على طول جنوبى القدس حتى الطرف الجنوبى الشرقى من جبل صهيون . وسمى هذا الوادى بين العرب «حقل الدماء» .

## ٣ - وادی الجبانه أو «التربويون» :

يفصل جبل صهيون عن غرب القدس ويبدأ حيث ينتهى وادی سلوان وكان يسمى فى الجزء الجنوبى الغربى من القدس «وادی الزبابة» أو «وادی الدمن» أو «وادی القمامات» ، وقد أشرنا إلى ردم جزء منه فى أعمال توسيع لجبل صهيون وللحرم المقدس الواقع على جبل «موريا» الذى هو هضبة الحرم الشريف .

#### ٤ - وادى الأرواح :

«رفائيم» بالعبرية ، أو العفاريت ، يدور حول غرب جبل صهيون وأقصى الجنوب ، وبه مدافن للموتى .

#### داود ... ومدينته

قلنا أن القدس ظلت فلسطينية في أيدي اليوسيين إلى السنة الثامنة من حكم داود . كان داود من الجنوب ، من صحراء النقب ، حيث اختارت قبيلة - سبط يهوذا - تلك الجهة مسرحاً لحياتها البدوية الرعوية . ثم انه انتقل إلى الشمال حيث كان نبي بني اسرائيل «صموئيل» قد توج أول ملك على كل الشعب هو «شاول» ، وكان داود قد الحق ببلاط شاعول . وفي هذه الآونة كان سكان البلاد الأصليين «الفلسطينيين» يريدون التخلص من الوجود «العبري» في بلادهم ، وكانت الحرب سجلاً بينهم وبين الاسرائيليين وبرز من الفلسطينيين بطل عملاق مخيف هو «جالوت» استطاع داود أن يقتله بحجر أطلقه من مقلع ، ثم قطع رأسه بعد ذلك ، وأخذها ليفخر بانتصاره في الجنوب . ومر بها على اورشليم . ومنذ هذا الوقت بدأت شعبية داود في الاتساع حتى بات الملك شاعول يخقد عليه ويدبر الأمر لاغتياله دون جدوى وأخيراً تعرض شاعول لهزائم ساحقة ومتعددة من «الفلسطينيين» انتهت بأن انتحز على أحد الجبال على أتر معركة فاشلة . وأصبح داود بعده ملكاً . فأراد أن يترك الشمال إلى نقطة حصينة أكثر توسطاً من حيث الموقع ، فوجد مطلبه هذا في «مدينة اليوسيين» اورشليم . فهي قريبة من ديار سبط يهوذا وهم عشيرة داود ، وهي وعرة المسالك للقادم من الأردن أو من البحر أو من الشمال على السواء ، وهي حصينة غير مكشوفة للغزاة ، ثم انها بعد كل هذا في وسط عشائر فلسطينية قديمة يبدو أنهم كانوا أكثر ميلاً إلى المسألة من أهل الشمال .

بدأ داود بالاستيلاء على جبل صهيون ، وكانت فيه قلعة أمامية لليوسيين يدافعون منها عن القدس ، وكانوا يسمون جبل صهيون بالمشآت القائمة

عليه «المدينة الفوقانية» . بالنسبة لهضبة الحرم (جبل موريا) التي كانوا يسمونها «المدينة التحتانية» . استولى داود لإذن على «المدينة الفوقانية» وحصلها وقاعدته لحكمه . ولما كانت أسرته هي سبط يهوذا ، فمذ هذا الوقت بدأ انعريون أو الاسرائيليون يسمون باليهود أيضاً ، ولما كان داود ، على طريقة امراء بني اسرائيل وروؤسائهم في العصور القديمة ، وعلى طريقة الكثير من الحكام القدماء . يستمدون سلطتهم من «الله» ، فقد جعل من صهيون مقر السلطة الدينية والسياسية والعسكرية جميعاً . ولم يجد غلاة المتعصبين من اليهود في العصر الحديث تسمية أكثر سحراً في آذان فقراء اليهود وبسطائهم من «الصهيونية» وما تقترن به من قوة داود وسدة شكيمته وأبهة سليمان وبهاء عظمته وفخامته على عرشه الاسطوري العجيب ، فاختاروها اسماً وشعاراً .

ظل داود يضغط على اليبوسيين ، ويضايقهم في جبلهم (موريا) ويريههم صنوف الازلال . وهم يرحلون تاركين له ديارهم حتى لم يبق الا مسطح القمة ، فكان المسجد الأقصى وقبة الصخرة ، ملكاً لليبوسى «آرونا» يتخذة جرنًا ومربضاً لماشيته . فاشتره منه داود بما فيه من المواشى . وقالوا في عنعنات شموية يهودية لا يقوم عليها أى دليل ، ان داود جعل من الصخرة اتى على الهضبة مذبحاً للرب . وصاغوا حول ذلك أساطير لا تكاد تاتى حتى قالت بعض مصوص التلسود (توسفتا - يوما / ٨٤ ، ٨) ان الله تعالى خلق الأرض ابتداء من هذه الصخرة « وقال أحد أحبارهم وهو اليعازر البابلى «ان الصخرة هي أصل خلق الأرض ، وان صهيون هو سرّة العالم ، وهو كامل الجمال والنباهة» (التلمود البابلى - يوما / ٥٤) . وجاء في كتاب «زوهرة» وهو من كتب التصوف اليهودى المشهورة « ان يعقوب نام على الصخرة وهو منطلق من بيت أبيه أسحق » بينما المعروف أنه نام في «بيت ايل» قرب نابلس . ولكن هذا التحريف يهدف إلى نقل قدسية «بيت ايل» المجاورة لنابلس . والتي ظل اليهود السامريون على وفائهم لها كقبة ليعقوب ، إلى أورشليم .

والحق أننا لا ندرى أية صخرة يعنى اليهود ، فالتلمود يذكر أن الصخرة التي يقدسونها ترتفع عن مستوى سطح الأرض ثلاثة أصابع (التلمود - يوما/ ٨٥ - ٣ ، ٤ . توسفتا ٦/٨٣ وموسى بن ميمون في كتابه «طقوس يوم الغفران») بينما الصخرة الموجودة حالياً ترتفع عن مستوى سطح الأرض بنحو متر كامل ، ومحيطها يناهز العشرة أمتار ، وتحته فجوة هي بقية مغارة قديمة عمقها أكثر من متر ونصف ، تبدو الصخرة فوقها وكأنها معلقة بين السماء والأرض ، وبين الصخرة وقاع المغارة دعامة من الخشب حتى لا تنهار .

ومن الذين شكوا في أن تكون الصخرة الشريفة هي الصخرة المعنية في التلمود ، الباحث الألماني «شيك» في أوائل هذا القرن ، فهو يقول ان الصخرة الحالية ربما كانت على أكثر تقدير إحدى ركائز المذبح الخاص بالقرايين فقط . ولم تكن في يوم ما داخلة «ضمن» قدس الاقداس» . أما صخرة اليهود التي يسمونها بعد أساطير التلمود التي أشرنا إليها «ابن هاشتيا» - أي حجر الأساس - فالله أعلم ماذا صنع بها بختنصر وانطيوخوس ايفانوس وتيتوس وفسبازيان وهديان والصلبيون وغيرهم ممن دمروا أورشليم مراراً وتكراراً تدميراً كاملاً .

والعجيب في أمر الباحثين اليهود ، وفي مقدمتهم دوائر المعارف العبرية المختلفة وماكتبوه من المؤلفات عن القدس ، أنهم إذ يؤكدون بدون أية حجة أن الصخرة الشريفة هي «حجر الأساس» المذكور في التلمود ، ينفون نفيًا باتاً أن تكون كنيسة القيامة بالقدس ذات علاقة أياً كانت بجسد المسيح عليه السلام ، فدائرة المعارف الاسرائيلية العبرية المنشورة في نيويورك سنة ١٩١١ تقول في هذا الصدد أن دفن الموتى داخل أسوار القدس كان لا وجود له إطلاقاً ، وإن أقرب المقابر إلى أسوار القدس هي مقابر «سامبوسكي» عند قدم جبل صهيون من الطرف الجنوبي الشرقي خارج السور مباشرة ، والمقابر المذكورة تحمل اسم العائلة التي بنت فيها مدفنًا كبيراً في العصر الحديث ، وقد عثر فيها على مقابر قديمة أيضاً ، وأضاف كاتب البحث

إلى ذلك أنه طيأة عهد الهيكل الثانى» (أى من القرن الخامس قبل الميلاد إلى سنة سبعين ميلادية) لم يدفن أحد داخل أسوار المدينة المقدسة ، وبناء على ما ذكر يكون مستحيلا فى رأيه أن يكون الجسد المصاب قد دفن فى هذه البقعة التى هى من صميم أورشليم وفى داخل أسوارها .

ولا نريد أن نناقش الأمر «بزنطياً» وإنما نشير إلى أن المسيح وأتباعه لم يتمسكوا من الشريعة القديمة إلا بالناموس الموسوى والأوامر والنواهى التى أبلغها الانبياء ، أما «التلموديات» التى لا تعد ولا تحصى فقد كانت رسالة المسيح فى جوهرها ومنطوقها تنادى وتجاهر بابطالها وتطهير العقول منها ، حتى لا يخضع الشعب اليهودى خضوعاً أعمى لظلامها المطبق ، الذى تفرضه السلطة الكهنوتية اليهودية على الشعب البسيط المخدوع المحروم من النور الحق وما دام الأمر كذلك ، فما الذى يفرض على أتباع المسيح فى عشية الصلب ، وأيدى كهنة التلمود ما تزال مخضبة بدمائه ، أن يحترموا عرفاً لا يستند إلى أمر أو نهي من الله ؟ ثم ان الحفائر المختلفة ما تزال كل يوم تكشف عن حقائق لا يحصى عددهم وجدت عظامهم داخل الأسوار .

### مدينة داود ... بعد داود

ورث سليمان داود ، وكان ملكاً يحب الفخامة ويميل إلى حل مشاكل السياسة والاقتصاد حلولاً دبلوماسية لا يلجأ فيها إلى قوة السلاح ، فصاهر جيرانه مبتدئاً بالقصر الفرعونى فى مصر اذ تزوج ابنة فرعون ، ثم غيرها وغيرها من بنات الملوك والحكام المحيطين بمملكته الصغيرة . وحاول أن يجعل عاصمة ملكه — أورشليم — لا تقل عظمة وعمرانا عن العواصم الكبرى فى الشرق فى زمانه ، فبدأ بتشيد سور فاخر حول المدينة ، ثم أخذ فى بناء المعبد الكبير — الهيكل — الذى كان أبوه داود قد بدأه قبل موته ، ومع ذلك فان الاخبار الاسطورية عن فخامة هذا الهيكل وضخامته لا يمكن أن تكون قد نجت من شطحات الخيال اليهودى الحالم فجاءتنا مبالغاً فيها أشد المبالغة . وهكذا يقول الكاتب اليهودى الأمريكى لويس براون فى كتابه المسبى

«حياة اليهود» ان انجازات سليمان في اورشليم ، وفي مقدمتها قصره الملكي كانت تبدو في عيون اليهود السذج من رعيته فخمة فخامة تفوق التصور . مع أنها لو قورنت بالقصور الهائلة في مصر أو بابل أو الهند لبدت ضئيلة شميخة الذوق .. كان القصر مكوناً من عدة أبنية منفصلة : بناء للصناع ، وقاعة للاجتماعات ، وهو للعرش ، والمحكمة العليا ، و «حرم ملك» كبير يكفي لسكنى المئات من نسائه . وكان هناك أيضاً معبد ، وهو بناء صغير طوله مائة قدم وعرضه ثلاثون قدماً ، موضوع فيه «نابوت العهد» — هذا الصندوق الذي نحفظ فيه التوراة ولا شك أن المعبد كان بالنسبة لسليمان مشروعاً أقل أهمية من القصر ، كان مقصورة دينية في بلاط الملك ، ولذا لم يستغرق بناؤه أكثر من نصف الوقت الذي استغرقه بناء القصر . ولكنه مع مرور الزمن ، وبعد الكهنة والانبياء الذين وفدوا عليه على طول حكم أسرة داود ، كان يتخذ في خواطر اليهود مكانة ، وكانت له من بعد ذكريات ، ربما لم يستطع شيء آخر على هذه الأرض أن يضمن مثل ما استطاع هو بقاء اسرائيل عليها ، مع أنه كان في حد ذاته أصغر من أي معبد يهودي في أمريكا الآن ، ومن كثير من كنائس الارياف المنتشرة في انحاء العالم . بالرغم من هذا فانه أقوى بناء شيدته يد الانسان من حيث عمق أثره وقوته . وما يقوله لويس براون صحيح ، بل ربما كان دون الابعاد الحقيقية لسيطرة هذا الهيكل على نفوس اليهود وخيالهم ، بعد تدميره واندثاره . وحتى الآن اقترنت اورشليم به ، وتقديس لدى اليهود من أجله وإذا ذكر اسمها فالمراد هو أولاً وقبل كل شيء ، وما كتبه الكتاب والاحبار من شطحات خيالهم حول ذلك شيء تضيق عنه مئات المجلدات . بحيث كان كل اليهود في حاراتهم القذرة وأسماعهم البالية ، على الثلج ، وفي الوحل ، يعيشون في هيكل اورشليم مع سطور التلمود ومع كتابات الاحبار ، وكانت صيغة المعايدة الدائرة على السنهم — وبخاصة في عيد الفصح — هي «السنة القادمة في اورشليم» وهو شعار استغلته الصهيونية ، وكهربت به أعصابهم ، وأعطته كل المعاني الحربية والعسكرية الممكنة . ولندكر نموذجاً واحداً من هذه الشطحات الكهنوتية اخترناه من كتاب التصوف اليهودي «زوهر» ٢ / ٢٢٢ : «عند خلق العالم ، ألقى

الله حجراً كريماً من عرشه العظيم في الفضاء المظلم ، فغطس فيه جزء من هذا الحجر وبرزت بقية فوق السديم . وهذه البقية البارزة كنقطة في هذا الفضاء اللانهائي بدأت تمتد في كل الاتجاهات عن يمين وشمال ، وأُرسيت الدنيا عليها ، ولذلك يسمى هذا الحجر «حجر الأساس» ، وكان تكوين الأرض حوله على ثلاث مراحل: المرحلة الأولى عبارة عن منطقة مستديرة حول الحجر ، نورانية شفافة ، والثانية من حولها مصنوعة من مادة أقل شفافية ولكنها أكثر رقة من الأرض ، والثالثة أرض معتمدة ، يطوقها المحيط الذي يدور حول العالم . وهذه المناطق الثلاث ممثلة في الهيكل الذي في أورشليم : فالمنطقة النورانية ، وهي النقطة العظمى ، عبارة عن الهيكل ومدينة أورشليم ، والثانية ، الأقل شفافية هي الأرض المقدسة «فلسطين» ، والثالثة المعتمدة هي بقية العالم حيث تسكن الأمم غير اليهودية من الكفار . أما المحيط الذي يدور بكل شيء فهو مملكة الجن التي تحيط بالعالم . ولم تر الدنيا قط شيئاً أجمل من ستائر تابوت العهد . وعندما أدخل تابوت العهد إلى الهيكل صاح بأية المزامير ١٣٢/١٤ : هذا مستقرى إلى الأبد وهنا سوف أقيم . وكان صوت الروح القدس يردد هذه الكلمات على مسامع إسرائيل . «ولولا الهيبة التي يجب اصطناعها أمام مقدسات الناس جميعاً تأدباً واحتراماً لمشاعرهم لعبنا عن رأينا بصراحة في مثل هذه الشطحات ، وإن كان لا يغيب عن البال ما يهدف إليه الراوية لهذا اللون من الأدب الشعبي من تأكيد العنصرية البغيضة التي اخترعها «شعب الله المختار» وكان أول من اصطلي بنارها أيضاً ، ومن تأكيد البقاء الأبدي في «أورشليم» ، بينما المسكين قد عاش نائهاً غارقاً في «المنطقة المعتمدة» القريبة من «مملكة الجن» المحيطة بالأرض ... رحمه الله ..

وما كاد سليمان يلقي ربه حتى حدثت حرب أهلية بين الاسباط وانقسمت المملكة شطرين ، وأصبح الهيكل وأورشليم قبلة انصف العبرين فقط .

ثم تعرضت القدس مباشرة لهجوم الجيش المصري الفرعوني (حوالي سنة ٩٧٠ ق . م) . وهي تحت حكم «رجعهم بن سليمان» . وتوالت عليها بعد ذلك الهجمات المتلاحقة : من الادوميين في الأردن إلى العرب إلى الاراميين



إلى الاسرائيليين في مملكة الشمال ، عندما هاجم يهوآش ملك اسرائيل أمصيا ملك أورشليم ويهوذا وهدم أسوارها وأخذ ما في الهيكل من الذهب والفضة والأواني ، ونهب القصر وأخذ بعض الرهائن وعاد إلى السامرة (الملوك الثاني ١٤/١٤) .

وتكرر الزحف المصرى على أورشليم في حكم الفرعون نخاو ، وكان ملك يهوذا يهو آحاز (حوالى ٦١٠ ق . م . ) .

ثم انتعشت أورشليم في عهد الملك عزيا هو الذى حكم أكثر من نصف قرن من الزمان ، وكان مهمتاً بتحسينها فبنى حولها أبراجاً وحفر آباراً وأنشأ البساتين والحدائق ( اخبار الايام الثاني ٢٦ ) . واستمر انشاء البوابات والتحصينات على عهد ابنه يوثام .

وتبلور الخطر الاشورى على القدس في عهد سنحاريب الذى كان معاصراً لحزقيا ملك يهوذا ، فأخذ هذا الأخير في زيادة التحصينات بالقدس وقام بردم آبار الماء التى في خارجها حتى لا ينتفع العدو بها وكذلك الجداول الجارية منها ، ودعم السور في المواضع المهدمة منه وحصن قلعة داود على جبل صهيون ، وقام بمشروع هندسى ناجح أجرى به مياه نهر جيحون الذى يجري جنوباً خارج القدس تحت الأرض إلى داخل المدينة ، وأنشأ صهاريج للماء ، وهكذا استطاع أن يواجه الحصار الاشورى دون أن يضطر إلى الاذعان .

### الحرب الأول ، والهيكل الثاني

كان يختصر ملك بابل يحاول أن يسوى حساباً قديماً مع فراغة مصر ، ولكنه في كل مرة يجد عقبة ما في فلسطين تظهر له فجأة من قبل اليهود فيبوء بالفشل ، وأخيراً (سنة ٥٨٨ ق . م .) هاجم القدس بعد أن كان استولى على أهم اجزاء فلسطين ، ومنها غزة في أقصى الجنوب ، وكان ملك يهوذا في ذلك الوقت «صدقياهو» ، ولما سقطت القدس بعد مقاومة رهيبة أحرقها الجيش البابلي وخرّبها ونهبها ، وأخذ معظم أهلها أسرى إلى العراق

حيث بقوا سبعين عاماً ، إلى ما بعد نجاح الامبراطور كورش ملك الفرس في احتلال العراق واسقاط الامبراطورية البابلية ، وقد لقي جيشه بطبيعة الحال كل التسهيلات اللازمة لمهمته من قبل اليهود المتورين المحتجزين في العراق ، فسمح على الفور بعودتهم إلى فلسطين وتأسيس «وطن قومي» تحت رعايته وحمايته داخل ملكه وسلطانه ، فعاد كثير منهم برئاسة يوشع بن يوسف وزروبابل بن شلتايل وبعدهما بثمانية عشر عاماً جاء عزرا ونحميا ، الذي أخذ في اعادة بناء هيكل سليمان (يقول الرواة : بصورة أقل فخامة ، ولعل ذلك من فرط اعجابهم الخيالي بهيكل سليمان فقط) .

وفي سنة ٣٣٢ ق . م . احتل الاسكندر فلسطين وادخلت تحت الحكم اليوناني ، ولكن أحد أبحار اليهود وهو «شمعون بن حننيو» استطاع بدبلوماسية أن يحوز رضا الاسكندر وأن يظفر منه بمزيد من العناية بتجميل القدس (التلمود . يوما) ، وبعد موت الاسكندر استولى بطليموس الأول «سوتر» على اورشليم حوالي سنة ٣١٠ ق . م . ، وأخذ كثيراً من أهلها أسرى إلى الاسكندرية .

ثم زحف عليها ملك سوريا انطيوخوس السلوقي اليوناني سنة ٢٠٣ ، وعاد فاستردها منه القائد البطلمي «سكوباس» المصري سنة ١٩٩ . والظاهر أن اليهود في المدينة كانوا أميل إلى حكم السلوقيين ، وقد ساعدوا انطيوخوس على دخول القلعة ، كما يقول يوسفوس ، ومباغثة المصريين فيها . وبسبب ذلك خفف انطيوخوس الضرائب عن يهود القدس ، واهتم بعمارة الهيكل والمدينة وتدعيم حصن داود . ويصف اليوناني أرسطياس ، المعاصر لهذه الأحداث ، فخامة القدس بما يبين أنها كانت مدينة كبيرة لها أسوار وعابها أبراج ، والخدمة الدينية في الهيكل كانت على أرفع نظام ، وكان عدد السكان مائة وعشرين ألفاً . وتعود اليهود بعادات اليونان ، وتركوا الرب ، وظهرت فرقة «ياسون» وأخيه «منايلاس» ، وقالوا بأن منصب الخاخام الأكبر يجب أن يكون بالوراثة لا بالانتخاب وحدثت فتنة كبيرة ، انتهزها الحاكم السوري انطيوخوس ابيفانوس فزحف على اورشليم سنة ١٧٠ ق . م . ونهبها وذبح كثيراً من يهودها .

وبعد ذلك بعامين هجم قائده ابولونيوس على المدينة مرة أخرى فأكثر فيها من القتل والتخريب واقتحم الهيكل وأقام فيه تمثال انطيوخوس ، وبني بجواره مسرحاً للتمثيل وأخذ معه رهائن من يهود القدس . فقام من أمراء المكابيين اليهود الحشمونيين «ميتياهو» ثائراً ضد اليونان هو وأولاده الخمسة ثم أتم يهودا المكابي هذه الثورة بطرد اليونان من الهيكل ، ومن جزء كبير من المدينة سنة ١٦٥ ق . م . وواصل هذا الكفاح شمعون المكابي ، ففي سنة ١٤٣ طرد الحامية اليونانية من قلعة داود «صهيون» .

وعاد اليونان بقيادة انطيوخوس السابع (سيديتاس) في عهد يوحنا هيرقانوس المكابي فاتقى هذا الأخير شره بتقديم قوالب من الذهب استخرجها من قبر داود ، يقول يوسفوس ان وزنها كان ٧٥ طناً ، ثم حدث نزاع على العرش بين هيرقانوس وأخيه أرسطوبولوس في داخل القدس .

### أورشليم وروما

أثناء هذه الفترة زحف القيصر الروماني «بومبي» على فلسطين واحتلها سنة ٦٦ ق . م . وقتل من اليهود في القدس وحدها ١٢,٠٠٠ ، بينما كان اليهود يخربون كل شيء بأيديهم ويحرقون المدينة كلها بالنيران حتى لا ينتفع بها العدو .

وبعد مدة وجيزة كثرت الاضطرابات في أورشليم ، فزحف عليها حاكم سوريا الروماني «لوقيانوس كراسوس» ، ودخل الهيكل ونهبه ، وكان ما فيه من الذهب والفضة والالنية الثمينة يقدر بنحو خمسين طناً .

وزار يوليوس قيصر فلسطين ، فأذن لليهود في بناء الأسوار التي كان بعضها قد تهدم .

وفي هذه الاثناء كان هؤلاء «الأمراء» من أواخر المكابيين ما يزالون يتنازعون على السلطة ، أو ما بقي لهم منها ، في أورشليم ، وهي سلطة أخذ الزكاة من اليهود ، وإدارة القضاء بينهم ، وتنفيذ الأحكام الشرعية فيهم ... أمانة كاريكاتورية تأخذ من اليهود الزكاة بيد وتصلبهم باليد الأخرى .

وانتهز هيرودس الادومي فرصة هذه المنازعات وزحف على المدينة سنة ٣٧ ق . م . يساعده القائد الروماني سوسيوس ، فحاصرها وصبا عليها قذائف المنجنيق واقتحمها وقاما فيها بمذبحة رهيبة .

وافق القيصر الروماني أغسطس على تعيين هيرودس على القدس « وكل بلاد اليهودية » أى النصف الجنوبي من فلسطين . فاهتم بإعادة تخطيط المدينة وتدعيم أسوارها ، وتزويدها بأبراج حصينة للحراسة ، لاسيما في النقطة الضعيفة استراتيجياً من المدينة وهى الغرب والشمال الغربى حيث أحياء القدس الحديثة الآن . فأقام في هذه الجهة برجاً سماه « هيبيكوس » باسم واحد من اصدقائه قتل وهو يحارب في صفوفه في إحدى المعارك ، وهذا البرج هو الذى يسمى خطأ الآن « برج داود » . وفى أقصى الزاوية الشمالية الغربية من السور بنى حصناً في موضع حصن « البيرة » الذى أقيم بعد عودة اليهود من السبي ، وكان قائماً في عهد المكابيين ثم تهدم ، وشماه هيرودس حسن « انطونيا » على اسم صديقه وحاميه انطونيو ( صاحب كليوباترا ) - أما تسمية « البيرة » فهى فارسية معناها القلعة ، ولم تعرفها اللغة العبرية الا تحت حكم الفرس ، وكان هذا الحصن مربعاً طول ضلعه نحو تسعين متراً ، وفى داخله قصر عليه سور مربع آخر ، تقوم عليه أربعة أبراج ، ثلاثة منها ارتفاعها خمسون ذراعاً ، والرابع ارتفاعه سبعون ذراعاً ، وهو البرج الشمالى الشرقى أقرب هذه الابراج إلى الهيكل ، ومن أعلى هذا البرج كان جنود الاحتلال الروماني يراقبون ما يجرى داخل معبد اليهود ، الذى حظى من هيرودس أيضاً بالعناية فأعاد بناءه وزخرفته . وفى الجهة الجنوبية الشرقية استقر الملك اليهود « مونوباز » وأمه اليهودة أيضاً « هيلانه » ، وكانا يحكما قبل تهودهما مقاطعة أديابين في بلاد الاكراد ، شمال شرق سوريا ثم تهودا ولجا إلى أورشليم فبنا إلى الجنوب من جبل صهيون قصوراً ومقابر في غاية الاتقان .

كان اليهود في أورشليم لا يكفون عن مناوشة الحامية الرومانية المسلحة في قلعة انطونيا . فأمر « أجيريا الأول » الموظفين الرومان بأحكام الرقابة على اليهود والتشدد في معاملتهم ، ووصل الحقد إلى أقصاه بين الطرفين أثناء

دعوة السيد المسيح ، والفتنة التي أحدثها الكهنوت اليهودي حينئذ ، وكان القيصر كليوديوس قد أمر — نكاية في اليهود — بوضع تمثال لنفسه في الهيكل ، بقي في مكانه إلى أن مات هذا القيصر مسموماً سنة ٥٤ بعد ميلاد المسيح .

### الحرب الثاني - والاخير - لاورشليم

دأب اليهود على خلق المشاكل للرومان ، مشاكل ومضايقات صغيرة كانت متلاحقة ومفاجئة ، فقرر الامبراطور الروماني فسبازيان القضاء عليهم ، وحل المشكلة كلها هذا الحل الجذري الدامي ، فأرسل ابنه تيتوس على رأس جيش كبير للقيام بهذه المهمة ، وبعد مؤامرات كثيرة قام بها اليهود واستعملوا فيها كل شيء ، حتى النساء ، في تليين عريكة تيتوس دون جدوى ، تم تخريب اورشليم في ٨ ديسمبر سنة ٧٠ ميلادية واجلاء جميع اليهود عنها ، وهو «السبي الثاني» الذي ظلوا فيه من هذا التاريخ إلى سنة ١٩٤٨ عندما أعلن حاويم وايزمان قيام «اسرائيل» .

ولكن بالرغم من أن تيتوس قد بذل أقصى الجهد في جعل عودة اليهود إلى سكى القدس أمراً مستحيلاً ، فان من بقى منهم في فلسطين لم يكف عن التآمر ضد الرومان .

### اييا كاييتولينا ... لا اورشليم

وفي القرن الثاني الميلادى ، سنة ١٣٦ ، قام «بركوكبا» ، أحد نماذج الصهيونية القديمة ، بثورة مسلحة ضد الرومان ، وسجل عليهم ، رغم جيشهم الامبراطورى الجرار — انتصارات براقة في البداية ، ولكن الامبراطور الرومانى ايلوس هديران قام آخر الأمر باتمام ما بدأه تيتوس ، فحاصر ما كان بقى من القدس ، وهدم كل شيء في المدينة ، ولم يترك فيها يهودياً واحداً ، وجاء إلى مكان الهيكل فأقام عليه معبداً لجوبيتر كبير آلهة الرومان ، ووضع فيه تمثالا لهذا الاله كالتثال القائم في معبد الكاييتول ، وقرر تغيير كل شيء في هذه المدينة ، حتى اسمها ، الذى أصبح مكوناً من

اتته هم واسم الكايتول معبد جوييتير الكبير ، فسماها «ايليا كاييتولينا» ومنع اليهود من دخولها ، وجعل الموت عقوبة من يقدم منهم على ذلك ، ثم منح لهم بالمخبيء اليها يوماً واحداً في السنة ، والوقوف على جدار ، بقى قائماً من السور في الجزء الغربى من المدينة ، وهو الذى يسمى «حائط المبكى» ويسميه اليهود «الجدار الغربى» وظل حظر السكنى بالقدس قائماً على اليهود قروناً طويلاً . فقد ذكر ذلك يوزيوس ، المؤرخ المسيحى الذى زار «ايليا» — القدس — سنة ١٣٢ ميلادية ، كما ذكره اليهود انفسهم في تفاسيرهم القديمة «المدراس» (سفر الجامعة — قوهيلت ربا) .

### دموع التماسيح على حائط المبكى

كان الاتقياء الطيبون من اليهود ، وفيهم اتقياء طيبون ، يقفون على «الجدار الغربى» باكين ، طالبين الرحمة من الله ، والمغفرة لذنوبهم وذنوب أسلافهم ، التى بسببها دمر الله ملكهم مرتين : على يد بختنصر البابلى وتيتوس الرومانى . أما كهنة السياسة الصهيونية عبر العصور فجعلوا هذا الحائط «مسارُ جحا» ، يتخذونه منطلقاً لكل دعوة عنصرية جديدة . ولذلك زعم بعضهم أنه بقية من سور داود ، وقال آخرون أنه جزء من حائط سليمان ونسبه البعض إلى المكابيين أو هيرودس ، وقد قام الانثريون الاسرائيليون بعد حرب يونيو ١٩٦٧ بعمل حفائر في أساس الحائط ، فكان أقصى ما عثروا عليه ، فى الحجارة التى تحت الأرض ، آيتين من سفر النبى اشعيا محفورتين بخط يجعل نسبة هذه الحجارة لدواد أو سليمان مستحيلة . ويرجع العثور على هذا النص إلى الشهور السابقة لاحتراق المسجد الأقصى ، ولأن الكشف لم يكن دسماً من الناحية السياسية كما يريد الصهاينة ، فقد وضعوه فى «قبر السكوت» كعادتهم فى كثير مما لا يريدون أن يعرفه العالم عنهم .

ولكن الذى لا شك فيه هو أن هذا الحائط جزء من سور المعبد اليهودى وقد يرجع على أكثر تقدير إلى أيام هيرودس ، أى إلى فترة ميلاد المسيح . وتقضى اليه طريق طولها نحو ثلاثين متراً وعرضها أربعة أمتار (وقد نسف اليهود ذلك وعاثوا فيه منذ يونيو ١٩٦٧) .

وارتفاع الحائط ثمانية عشر متراً عن سطح الأرض ، السنة أمتار الأولى منها مبنية بحجارة مستطيلة ضخمة مثل التي يعثر عليها في أساسات السور . يضاف إليها من فوق ١٤ سطرّاً من حجارة أصغر يبدو أنها قد على بها الحائط ابتداء من عصر متأخر جداً هو القرن الثاني عشر الميلادى وما بعده وأساس السور المطمور تحت سطح الأرض عبارة عن ١٩ سطرّاً من الحجارة المستطيلة الضخمة ، ويمكن رؤية جزء من هذا الأساس من الكهف الملاصق للحائط من جهة الشمال ، أما بقية السور من هذه الجهة الغربية فقد اندثرت الا بعض التوائت التي تبرز من مسافة لأخرى ، وهناك ١٢ متراً من الضلع الجنوبي للسور ما تزال بارزة ، وهي بقية العقد المقوس الذى كانت فوقه القنطرة من جبل صهيون إلى الهيكل ، والتقاليد اليهودية لا ترى البكاء سنة عند هذا الجزء ، مما يؤكد أن الأصل في هذا البكاء انما كان على معبد لا مملكة ، وطلباً للمغفرة من الله لا للعون من الولايات المتحدة - ومع الزم غلبت دموع التماسيح دموع الاتقياء .

وإذا كان المبكى أثراً يهودياً يرويه اليهود بدموعهم ، فهناك قبر في الجنوب لحبر من أحبار اليهود الكبار هو الربى كلونيموس التلمودى يرجحه اليهود بالحجارة تنفيذاً لوصيته . وتقول أسطوره : ان طفلاً مسيحياً وجد قتيلاً ، واتهم المسيحيون اليهود بقتله لأخذ دمه والاستعانة به فى طقوس خبز الفصح حسب الاشاعة التى تهمهم بعجن هذا الخبز بدم انسان غير يهودى فجاء الحاخام كلونيموس وقرأ ودعا على الجثة الهامدة ، فبعث الصبي حياً باذن الله ، ونطق باسم قاتله واذا به مسيحى ، فندم كلونيموس على معجزته التى قام بها لمن ليسوا أهلاً لها فى نظره ، وكتب فى وصيته أنه يريد أن يعاقب نفسه على ذلك بأن يمنع من وضع شاهد باسمه على قبره ، وأن يرجحه من يمر بقبره لمدة مائة سنة ، واكراماً للرجل فبعض الناس يرجحه إلى اليوم .

## القدس الشريف

ظلت «إيليا كايبوليا» محرمة على اليهود الاسعابة نهار في السنة يذرفون فيها الدموع على حائط المبكى حتى ظهر الاسلام ، وأستولت جيوش عمر ابن الخطاب على القدس سنة ٦٣٧ ميلادية بقيادة خالد بن الوليد وأبى عبيدة عامر بن الجراح . وفي سنة ٦٣٧ ، والجيش العربي يطوف المدينة ولايدخلها في انتظار قدوم الخليفة ، كان زعماء المسيحيين في داخل المدينة ينتظرون أيضاً خليفة المسلمين . ومعهم مشروع معاهدة تقضى بكل ما يريده العرب بشرط الابقاء على الحرية الدينية للمسيحيين ، واحترام المشاهد المسيحية المقدسة في البلد . واستمرار القرار الروماني القديم بمنع اليهود من النزول بالمدينة . وقبل عمر الشروط كلها الا الشرط الأخير ، معتذراً بأن القرآن قد حدد ما لأهل الكتاب وما عليهم ، وليس فيه شيء يسمح بهذا ، ولكنه تعهد لمسيحيي القدس ألا يدخل أحد من اليهود إلى مقدساتهم أو يسكن في حاراتهم . ثم أراد أن يؤمن للحامية العربية مكاناً تعسكر فيه بالقدس فوجد أن سفح «صهيون» قد صار قللاً جداً — وقد أشرنا إلى أن وادي القمامات كان يلاصقه منذ أقدم العصور — فصعد إلى الهضبة التي كان اليهود يسمونها جبل «موريا» وأختط مسجداً بجانب الصخرة الشريفة ، التي كان النبي محمد ابان حياته قد أسرى به اليها ، فصلى عندها ، ودعا القرآن المكان باسم «المسجد الأقصى» ، ومن ثم عرج به في القصة المعروفة المذكورة في القرآن .

لم يجزئ اليهود ، طوال أيام الخلفاء الراشدين وأوائل خلفاء الدولة الأموية ، على الاسديطان بالقدس ، ثم سمح لهم بذلك في أيام الخليفة عبد الملك ابن مروان . الذي بنى المسجد الجامع وبنى قبة الصخرة عام سنة ٦٨٨ ، وكان في فناء الحرم على أيامه عشرة من اليهود يقومون بأعمال الكنس والنظافة نظير اعفائهم من الجزية ، ذكر ذلك تاريخ مجير الدين المخطوط بالمكتبة الوطنية بباريس .



وفي سنة ٧٠٥ تولى سليمان بن عبد الملك بن مروان ، فترك في دمشق أخاه الأصغر وحضر إلى القدس وهو ينوي أن يجعلها عاصمة للخلافة الإسلامية ثم عدل ، وذكر مجير الدين في تاريخه أن المكلفين على عهده بانارة المسجد الأقصى كانوا من الخدم اليهود ، إلى أن تولى الخليفة عمر بن عبد العزيز (٧١٠ - ٧٢٠) ففصل اليهود من هذه الأعمال وجعل خدم الحرم جميعاً من المسلمين . .

وفي سنة ٩٦٩ . سقطت سوريا وفلسطين تحت حكم الخلافة الفاطمية بالقاهرة ، وأستولوا على القدس في عهد المعز لدين الله الذي كان مشهوراً بعطفه الشديد على الأقليات من أهل الكتاب وخصوصاً اليهود . فأزدهرت في أيامه الطائفة اليهودية ، ولكن حفيده الحاكم بأمر الله (سنة ١٠١٠) ، قسا على المسيحيين واليهود وهدم بعض الأبنية المعظمة عندهم ، حتى أنه أراد ذات مرة أن يهدم كنيسة القيامة كما يروى مجير الدين في كتابه في التاريخ .

وفي أواخر يولييه سنة ١٠٩٩ دخل الصليبيون القدس لأول مرة بقيادة الفرنسي «جوفروا» وأبادوا جميع المسلمين واليهود في المدينة المقدسة وأحرقوا ديارهم ومقدساتهم ، وحرّموا عليهم دخولها ، وان كان الرحالة اليهودي الاندلسي «بنيامين التطيلي» يذكر في رحلته التي زار فيها القدس سنة ١١٧٠ أنه وجد فيها قليلاً من اليهود يقيمون تحت «برج داود» ويشغلون صباغين بصريح من الحاكم الصليبي لقاء مال يدفعونه له .

ويذكر رحالة يهودي آخر من الأندلس أيضاً هو يهودا الحريزي الأديب أنه زار القدس بعد أن استردها صلاح الدين الأيوبي من الصليبيين (يوم الجمعة ٢ أكتوبر سنة ١١٨٧) فسمع عنه أنه يكرم اليهود ويحسن معاملتهم وبشجعهم على الإقامة فيها .

وظل الأمر يتأرجح عنفاً وتساحاً مع اليهود بين الصليبيين والمسلمين بحسب الظروف إلى أن خلصت فلسطين للماليك ، وكان اليهود قد كثروا

فى القدس ، وبدأت بينهم تنظييات سرية تفرض عليهم الاتاوات لصالح الطائفة ، وتوقع العقوبة - سراً - بمن يرفض دفع الاتاوة .

حدث مرة فى حكم السلطان الملك الأشرف قايتباى ، من المماليك البرجية (١٤٦٨ - ١٤٩٦) أن أحد اليهود رفض دفع هذه الاتاوة ، فوقع تحت التهديد والارهاب ، حتى أنه أثر الدخول فى الاسلام ، واغتاضت أمه من قسوة زعماء الطائفة عليه ، فأسلمت هى كذلك ، وأقفت بيتها الواقع فى الحى اليهودى ليكون مسجداً للمسلمين ، وكان مجاوراً للمعبد . فلجأ المسلمون فى المدينة سنة ١٤٧٥ إلى المحكمة الشرعية بالقدس يطلبون اجلاء اليهود من مجاورة المسجد الجديد وازالة معبدهم . وأصلحت المحكمة حكمها فى صالحهم ، ولكى تبين أن الحكم لابد أن يصدق عليه من المحكمة العليا فى القاهرة . وفى انتظار التصديق قام المسلمون فعلاً ببعض أعمال الهدم والازالة . ولكن السلطات العليا بالقاهرة نقضت حكم المحكمة الشرعية بالقدس ، وأفتت بأنه لاخير بأن يقوم مسجد للاسلام فى حارة اليهود وبجوار معبدهم . وأمرت باعادة بناء ما تهدم على نفقة المسلمين ، ذكر هذا أحد مشاهير أحبار اليهود الذين عاصروا تلك الأحداث ، وهو الربى عوبديا دى برطينورو فى رسالة له من القدس ، وكان معظم اليهود يسكنون فى حى خاص بهم على جبل صهيون بمعزل عن المسجد الأقصى وكنيسة القيامة .

فى نفس هذا القرن الخامس عشر الميلادى كان العرب قد طردوا من الأندلس ، وكان الاسلام قد دخل أوروبا من الشرق مع السلطان العثمانى محمد الثانى - الفاتح - الذى استولى على القسطنطينية ، ووضع بذلك نهاية للامبراطورية الرومانية الشرقية (البيزنطية) .

وطرد العرب من الأندلس جر معه جالية يهودية ضخمة كانت تعيش آمنة فى كنفهم ، وهى التى قامت بخدمة اللغة العبرية والدين الاسرائيلى

والحفاظ عليهما وتعميق دراستهما ووفد من هذه الجالية بجمهور كبير  
الاستقرار في القدس ، كما بدأ يفد من بيزنطة أيضاً عدد من اليهود لا يستهان به .

وفي سنة ١٥١٦ انتهى حكم المماليك عندما سقطت القدس في يد الجيوش  
التركية في عهد السلطان سليم الأول العثماني ومن بعدها مصر أيضاً وبعد ذلك  
مباشرة كان السلطان سليمان القانوني العثماني ١٥٢٠ - ١٥٦٦ هو الذي يحكم  
الامبراطورية الاسلامية الشاسعة وقد أمر باعادة بناء أسوار القدس الشريف  
على النحو الذي نعرفه الآن .

وهذا السور الحالى سبعة أبواب :

١ - باب الخليل غرباً ، وهو الذى يسمونه أيضاً باب يافا ، وكان  
يسمى قديماً باب ابراهيم .

٢ - باب النبي داود جنوباً ، واسمه باب صهيون ، وهو على جبل  
صهيون ملاصق لقبور ملوك آل داود .

٣ - باب المغاربة جنوباً من منخفض الجبلانه «التبروبويون» ويسمى  
أيضاً الباب الصغير لصغر حجمه نسبياً ، ومن الأثرين من يزعم أنه باب  
القمامة القديم ، والراجح أن باب القمامة كان إلى الجنوب أكثر ، في أسفل  
الجبل ومن هذا الباب تخرج جنازات الموتى لتدفن على جبل الزيتون .

٤ - باب السباع شرقاً ، والعرب يسمونه باب ساباط والظاهر أن  
الكلمة تحريف يهوشا فاط واليهود كانوا يسمونه قديماً باب «يهوشا فاط»  
لأنه يطل على الوادى المسمى بهذا الاسم .

٥ - باب الزاهرة ، شمالاً ، وهو باب هيروودس ، وربما كان في موضع  
«باب ساحة الجيش» القديم .

٦ - باب العمود ، في الشمال الغربي ، ويسمونه باب دمشق ، واليهود  
تسميه باب شكيم «نابلس» .

٧ - الباب الجديد ، غربي باب العمود ، ويسمى باب عبد الحميد وهو أقرب الأبواب إلى كنيسة القيامة .

هذا عدا أبواب وبوابات داخل القدس نفسها مثل «باب حطة» الذي يصل إليه الداخل إلى القدس من باب الزاهرة . وباب السلسلة القريب من المسجد الأقصى .

وبعد فهذه جولة في تاريخ القدس تتبعنا فيها اليهود خاصة ، فوجدنا أن المدينة كانت مقدسة قبل داود بألف سنة ، من أيام الملك الفلسطيني ملكيصدق ، لدرجة أن سيدنا ابراهيم التمس منه الطعام والشراب ، وأن يباركه ببركة الله العلي ، ووجدنا أن فترة أواخر حكم داود وحكم سليمان وهي لا تعدو كلها ثلاثاً وسبعين سنة : ٣٣ لدواد ، ٤٠ لسليمان هي الفترة الوحيدة التي كانت المدينة والهيكل فيها مركزاً وعاصمة لليهود بقوة السلاح أولاً وبالمسألة والدبلوماسية ثانياً ، ووجدنا أنه بمجرد موت سليمان تقلصت سلطة القدس بأكثر من النصف ، إذ كانت دولة اسرائيل في الشمال لا تعترف لا بدادود ولا بسليمان ولا بخلفائهما ، لا في الدين ولا في السياسة . حتى جاء الآشوريون والبابليون ووضعوا حداً لكل هذا ، ومنذ ذلك الوقت كانت أورشليم رمزاً ، ولم يكن وجود اليهود فيها وجوداً مستقلاً ، لا سياسياً ولا اقتصادياً ولا دولياً ، وإنما كانت لهم فيها زوايا ومعابد لطقوسهم ، وكان يأتي إليها حجاجهم كما يذهب المصري أو المغربي أو التركي للحج في مكة المكرمة . ووجدنا أن العرب عندما دخلوا القدس الشريف بعد الاسلام كانت المدينة خالية من اليهود منذ خمسمائة سنة أو أكثر ومن كل أثر سياسي أو ديني لهم الا «ممارجحا» الذي هو حائط المبكى ، وعلى مدى أكثر من ثلاثة عشر قرناً ، كانت تحت الادارة الاسلامية « مدينة الله » بحق يجد فيها المسلم والمسيحي واليهودي صفاء النفس والسكينة الروحانية اللازمة للتأمل والعبادة .

ألف سنة قبل داود ، وألف وخمسمائة سنة بعد دواود ، والقدس مدينة الله . بل داود نفسه لم يكن يسميها الامدينة الله ، واليهود يعرفون ذلك جيداً ، ويعرفون أن التلمود كان يعتبرها «مدينة مملوكة لله» ، ولذلك حرمت شريعته أن يمتلك فيها الانسان بيتاً أو أرضاً أو بستاناً ، أو أن يسكن أحداً في بيته بأجر ، ولكنهم عند اللزوم كثيراً مايسكتون جميع الأصوات حتى صوت داود وسليمان وأصوات الأنبياء ، وحتى صوت التلمود .

## هيكل سليمان... وهياكل أخرى

كيف كان الهيكل الذي بناه سليمان ؟ وكيف تم بناؤه ؟ هل بقي منه شيء غير تلك الشطحات الأدبية الاسطورية التي يغص بها الأدب اليهودي ، الديني منه والعلماني ؟ هل قامت على أنقاضه هياكل أخرى ؟ .

أسئلة هامة تستوقفنا كما استوقفت الباحثين منذ أقدم العصور . وسنقف عندها علنا نجد بصيصاً من نور ، يساعدنا على تبين بعض المعالم ، وعلى تصور البناء في هيئته الواقعية البعيدة عن تخيلات الحنين اليهودي الحالم ، وعن التلخيص العابرين الخاطف الذي ذكرنا مثالا له من كتابة اليهودي الأمريكي المعاصر «لويس براون» .

جاء في الكتاب المقدس أن داود كان يريد أن يبنى هيكلًا للرب في اورشليم ، ولكن النبي «ناتان» أبلغه — من لدن الرب — بأن يترك هذا المشروع لابنه سليمان (صمويل الثاني ٧) . لماذا ؟ ان داود نفسه ليشرح سبب ذلك لابنه سليمان شرحاً له دلالاته ومعزاه ، حتى في العصر الحديث . وليسمع كهنة الصهيونية التوسعية في فلسطين الآن (اخبار الايام الأول ٢٢) : «وقال داود لسليمان يا بني ، كان في خاطري أن أبني بيتاً لاسم الرب الهى ، فكان إلى كلام الرب قائلاً : قد سفكت دمًا كثيراً ، وقمت بحروب كبيرة فلن تبني بيتاً لاسمى ، لأنك سفكت دماء كثيرة أمانى على الأرض . وها هو ذا ابن يولد لك ، يكون رجلاً سلم ، أسلمه من جميع اعدائه الذين من حوله ، إذ سيكون اسمه سليمان ، وسأعطى سلاماً وهدوءاً لبني اسرائيل في أيامه وهو يبني لاسمى بيتاً» .

ومع ذلك فان داود أراد ، قبل موته ، أن يسجل معاونته الفعالة لابنه في اقامة الهيكل ، فأخذ يجهز المواد اللازمة للبناء ، وكان لليهود في عصره ما يزالون في بداوة بدائية ينذر فيهم من يعرف أصول حرفة أو صناعة

أو علم من علوم الدنيا ، وسترى ان الاعتماد على الفنين الأجانب كان الحل الوحيد الممكن أمام داود وسليمان حتى يرتفع هيكل الرب . جاء في سفر أخبار الايام الأول - ٢٢ : «وأمر داود بجمع الأجانب الذين في أرض اسرائيل ، فأتخذ نحّاتين لنحت حجارة مربعة لبناء بيت الله . وهياً داود حديدأ كثيراً للمسامير لمصاريع الأبواب والأوصال ، ونحاساً كثيراً بلا وزن وخشب أرز لا يحصى ، لأن الصيديونيين والصوريين أتوا بخشب أرز كثير لداود » ثم أضاف داود وهو يخاطب ابنه في نفس هذا الاصحاح قائلاً : «وها أنذا في مذلتى قد جهزت لبيت الرب مائة ألف وزنة من الذهب وألف ألف وزنة من الفضة ومن النحاس والحديد مالا وزن له لكثرتة ، وجهزت أخشاباً وحجارة وأنت تزيد عليها . وعندك صناع كثيرون للعمل : نحّاتون ، ونقاشو حجر وخشب ، وكل أستاذ في كل حرفة » .

هذه القناطر المقنطرة من الذهب والفضة ، وهذا الخشب والحديد والنحاس الذى يفوق الوزن والحصر ، وهؤلاء العمال المهرة والأساتذة الخبراء في كل حرفة ، قد أورثهم داود لسليمان قبل أن يترك الدنيا ومن فيها ، فلننظر ماذا كان من أمر «بيت الرب» وبنائه .

أما مكان البناء فالاجماع منعقد ، بناء على عنعنات شفوية يقال انها متصلة متواترة على أنه الهضبة المسطحة التى تتوج جبل «موريا» - المكان الذى وجد فيه ابراهيم ، قبل سليمان بألف سنة ، الرجل الفلسطينى الأصل «ملكيبصديق» ، ملك اورشليم ، يعبد الله العلى ، ويقوم بقرى الضيوف فيقدم لابراهيم الخبز والنبذ ، ثم يباركه «باسم الله العلى» أيضاً .

ظل هذا المكان فلسطينياً قحاً ، في أيدي اليوسيين ، رغم الضغط الاسرائيلى المتكرر حتى جاء داود ، فوجده ملكاً لفلاح فلسطينى يوسى اسمه «أرونا» أو «أورنان» ، وقد جعله جرنأ ، فاشتراه منه ، والظاهر أن اليوسيين كانوا قد تعودوا من رذالات النهب والاعتصاب الاسرائيلى ما جعل «أرونا» يندشش عندما وجد داود يدفع له ثمن الجرن ، وكان قد

عرض عليه - اتقاء لشره - أن يأخذه بلا مقابل ، «فقال الملك لارونا : لا ، بل اشترى منك بثمان ، فلا أحرق القرابين للرب الهى مجاناً» . (صمويل الثانى ٢٤) .

أما عدد الصناع الذين اجتمعوا فى أورشليم لينفذوا لسايمان المشروع الذى أوصى به أبوه داود فضخم جداً يزيد على مائة وخمسين ألف عامل ، والهيكل بناء صغير حسب أوصافه التى وردت لنا (طوله ٣٢ متراً ، وعرضه ١١ متراً وارتفاعه ١٦٧ متراً بالتقريب) مما يدعوننا إلى التساؤل : هل كانت كل مواد البناء التى أعدها داود ، وهذا العدد الضخم من العمال والفنيين مخصصه للهيكل وحده ، أم أن الأمر على ما يذكر «لويس براون» من أن الهيكل لم يظفر من ذلك الا بالقدر الأقل بينما الجانب الأكبر قد خصص لمبان أخرى أقل اتصالاً بتمجيد «الرب» ، منها القصر الملكى لسايمان ، وقصر زوجته ابنة فرعون ، والصروح البديعة ، والقبيلات الانيقة ، التى أعدها لنسائه الكثيرات جداً ، والأبنية الحكومية المختلفة ، وحتى المعابد الوثنية التى اقيمت خصيصاً لمن رفضن اليهود من النساء الاجنبيات اللاتى أحبن سليمان (الملوك الأول ١١) .

مهما يكن من شىء فإن العمال الذين جاءوا لتنفيذ المشروع كان معظمهم من الأجانب كما قلنا ، وينقسمون حسب ما جاء فى الاصحاح الخامس من سفر الملوك الأول إلى الفئات الآتية :

١ - ٣٠,٠٠٠ عامل لقطع الأخشاب يكونون ثلاث ترحيلات كل منها عشرة آلاف عامل ، تذهب إلى لبنان فتعمل شهراً ثم تعود إلى فلسطين فتعمل شهرين هما مدة الترحيلتين الآخرين ، بحيث تعمل كل واحدة من الترحيل الثلاث أربعة أشهر على أربع فترات فى السنة . وكان الخشب المقطوع يأتى من لبنان مجزاً إلى يافا ، والمذكور منه نوعان هما الأرز والسرو ، وورد فى سفر اخبار الايام الثانى ٨/٢ اسم غامض لنوع ثالث ، ترجمه المترجمون بالصندل ، ومعروف أن الصندل لا ينبت فى لبنان ، ولعل المقصود بالكلمة



العبرية - وهى من غريب اللغة - خشب الساج ، وهو خشب شجر يميل إلى الحمرة ويستعمل فى التجارة ، (وقد اعتمدنا فى هذا التصحيح على المعجم العبرى العربى «جامع الألفاظ» تأليف أبى سليمان داود بن ابراهيم القاسى الذى يرجع إلى حوالى سنة ٩٥٠ م) .

٢ - ٧٠,٠٠٠ حمال

٣ - ٨٠,٠٠٠ حجار ، يهثون حجارة البناء فى «محاجر سليمان» فى الطرف الشمالى من جبل الزيتون ، إلى أقصى الشرق من مدينة القدس .

٤ - ٣,٣٠٠ رؤساء تشغيل (عمال فنيون ، «اسطوانات» ، ملاحظون) وعددهم فى سفر أخبار الأيام الثانى الاصحاح الثانى ، يختلف إذ هو ٣,٦٠٠

٥ - ٥٥٠ بناءون من صور وجيبيل، وهما المدينتان الفينيقيتان المشهورتان فى العصور القديمة باتقان بناء الحصون والقلاع .

وفى ربيع السنة الرابعة من جلوس سليمان على العرش وضع الحجر الأساسى للمشروع بعد خمسمائة سنة من خروج بنى اسرائيل من مصر مع موسى ، وتم البناء بعد سبع سنين ، فى خريف السنة الحادية عشرة من ملك سليمان أيضاً .

يقول المؤرخ اليهودى ابونانى يوسفوس (تاريخ اليهود ، الجزء الثامن ، الفصل الثالث) : ان سليمان قد وصل بأساس الهيكل إلى عمق سحيق ، وكان هذا الأساس يتكون من مكعبات من حجر شديد الصلابة ، يمكن أن يتحمل بعد ارسائه فى أعماق الأرض كل ثقل المبني القائم عليه ، والذى يزيد من ثقله كل التصميم الزخرفى الذى أعده له سليمان ، وهو تصميم يزن مثل وزن الهيكل نفسه . وكانت حجارة الأساس هذه بيضاء ، وكان طول الأساس ستين ذراعاً (٣١,٥ متر) وعرضه عشرين ذراعاً (١٠,٥) ، وهذه هى أبعاد الهيكل الظاهر فوق سطح الأرض حسب رواية الكتاب المقدس ،

أما عمق الأساس فكان ستين ذراعاً أيضاً (٣١,٥ متر) ومفهوم كلام يوسفوس أن الكتلة المحددة بهذه الأبعاد كانت كلها مصمته ، مملوءة بالمكعبات الحجرية الضخمة ، ولم تكن مجرد «سياج» يحيط بالأرض .

ويرجح كثير من الاثريين وفي مقدمتهم الاثري الفرنسي «دى سولسى» فى كتابه «تاريخ الفن اليهودى» أن الهيكل الذى بناه سليمان كان فى داخل سور يحيط بكل جبل الهيكل ، بدليل أن الهيكل الذى بناه اليهود بعد عودتهم من السبي البابلى فى نفس المكان ، وبعد سليمان بنحو خمسمائة سنة أخرى ، كان يحيط به سور أيضاً ، وكذلك الهيكل الذى عمره هيرودس بعد ذلك بخمسمائة سنة أخرى ، ثم الحرم الاسلامى الشريف الذى قام أخيراً ، فى نفس المنطقة التى كان «ملكىصديق» يدعو فيها باسم الله العلى فى زمن ابراهيم. ويبدو أن السور الذى كان يحيط بمنطقة الهيكل على أيام سليمان ، كان مربعاً طول ضلعه مائة وثلاثون متراً (فتكون مساحة ما يحيط به السور نحو ثمانية أفدنة الا ربعاً) . وبهذه المناسبة يذكر الاثري الفرنسي «دى سولسى» مقاييس الحرم الاسلامى الشريف فى نفس المنطقة وفى العصر الحديث كما قاسها هرن بنفسه ، وهى : الضلع الشرقى لسور الحرم وطوله ٣٨٤ متراً ، والضلع الجنوبى طوله ٢٢٥ متراً ، ثم يمتد الضلع الغربى بزواوية منفرجة وفى خط غير مستقيم ، بحيث يكون الضلع الشمالى من السور أطول بكثير من مقابله الجنوبى . وينبئ على ما ذكره «دى سولسى» أن تكون مساحة الحرم الشريف أكثر بكثير من ضعف مساحة جبل الهيكل داخل أسوار سليمان ، أو نحماً ، أو هيرودس .

هناك أيضاً أمر يستحق الانتباه ، وهو أن الحرم الاسلامى الشريف مستطيل ، واتجاهه من الشمال إلى الجنوب (فى اتجاه القبلة بمكة المكرمة) ، أما معبد سليمان فهو مستطيل لكن اتجاهه من الغرب إلى الشرق (نحو الشمس) وهو الاتجاه العام فى المعابد القديمة فى بابل أو مصر أو غيرها من أقطار الشرق الأدنى والأوسط . واذن فلا يمكن التسليم بسداجة برأى من يدعون أن الحرم يقوم تماماً على ما كان سابقاً يسمى هيكل سليمان ، حتى لو سلمنا أن الهيكل

كان في هذا الركن بالذات من الجبل ، وهذا لا دليل عليه الا العنعات التي اتخذت في نفوس البعض منزلة مقدسة لتكرارها عبر الأجيال . والذي يستفاد من أوثق النصوص — هو أن الهيكل كان يتضمن التفاصيل الآتية :

# ١ — قدس الأقداس :

غرفة مكعبة أبعادها طولاً وعرضاً وارتفاعاً ١٠,٥ متر . وفيها ستار يقسمها قسمين ، ففي القسم الداخلي منها تابوت العهد ، وهو صندوق تحفظ فيه نسخة من توراة موسى مخطوطة على جلد أوري ، عن يمينها وشمالها تمثالان للكرويين يملآن بقية الفراغ . وأصل الكرويين في عقيدة اليهود أنهما من الملائكة ، وكان اثنان منهما يحرسان أبواب الجنة بعد أن طرد منها آدم وحواء ، ثم انتقلت القصة في الفولكلور الشرق القديم ، في بابل وأشور وبلاد الحبشيين وإيران وفينيقيا وغيرها فأصبح « الكروب » نوعاً من أبنى الهول المخبئ يحرس البناء الذي يوضع فيه ، وكان شكل التمثالين الحارسين يتخذ أسلوب الطراز الفني للأمة والعصر ، وأغلب الظن أنه كان في هيكل سليمان أشبه بأمثاله في المعابد الفينيقية ، أى بأسلوب وسط بين الفن البابلي الآشوري في العراق والفن الفرعوني في مصر ، وربما كان في هيكل هيرودس قد نفذ بشكل أقرب إلى الفن التجريدي ، دون تفاصيل واقعية احتراماً لمنهى التوراة عن اتخاذ التماثيل المنحوتة ، فكان « الكروب » أو الملك الحارس يظهر بشكل كتلة وسطى يحف بها جناحان كبيران مديبان ، ولعله من هنا جاء الاعتقاد الشعبي عند الرومان في أن اليهود يعبدون في قدس الأقداس صنما على شكل رأس حمار ، إذ بدا لهم جسم « الكروب » بين الجناحين كرأس حمار بين الاذنين الطويلتين ، وإذا وضعنا في الحسبان الفرق الشاسع بين ثقل الفن اليهودي وتخلفه ، وفخامة الفن الروماني ودقته وتفوقه .

وأما النصف المفتوح من قدس الأقداس فيحتوى في الوسط على المذبح الذهبي للقرايين ، وإلى يساره منضدة تحمل الشمعدان السباعي الذي يضاء

في أثناء إقامة الطقوس - ويقال أنه كان في هيكل سليمان يضاء باستمرار لا ينطفئ أبداً ، وإلى يمين المذبح الذهبي منضدة لحبز التقدمة الذي يدخل في الطقوس اليهودية أيضاً .

٢ - انهو المقدس :

وهو المكان الخاص باجتماع الناس للعبادة وإقامة الشعائر ، ويفصله عن قدس الأقداس باب ، وعلى جانبيه صفت مناضد لوضع المسارج والشموع

٣ - قاعة المدخل :

وهي أول مكان يلي الباب ، وليس بها أثاث ديني معين ، وهي التي يليها من الخارج باب الهيكل ، وكان عليه عمودان أحدهما عن اليمين باسم «ياكين» أحد أحفاد يعقوب من سبط شمعون ، والثاني عن اليسار باسم «بوعز» ، أحد أبطال سبط يهوذا القدماء . وعلى جانبي هذا الصحن الخارجى المكشوف الذى يقوم فيه العمودان أحواض لغسل الذبائح ، ومذبح في الهواء الطلق لتصعيد القرابين التي تحرق بالنار من هذه الذبائح ، يصعد اليه بسلم من عدة درجات وفي زاويتي المبنى سلمان يوصلان إلى الطوابق العليا اليها غرف الكهنة ومرافق الهيكل . وعن يسار المذبح الخارجى «بحر النحاس» وهو حوض نحاسي كبير يحمله اثنا عشر ثوراً من البرنز .

وهكذا يكون طول المبنى كله ٣١,٥ متراً وعرضه ١٠,٥ متراً ، وارتفاعه فيما عدا قدس الأقداس ١٥,٧٥ متراً ، بينما قدس الأقداس سقفه منخفض نسبياً فارتفاعه كما قلنا ١٠,٥ متراً .

وكان من الداخل مغطى بالنقوش المنحوتة في الحجر والخشب من ازهار ونباتات وكرويين وكما يقول لويس براون ، لم يكن المعبد لا فخماً ولا ضخماً الا في أعين اليهود البسطاء الذين لم يكونوا قد وصلوا من الحضارة إلى درجة يطمحون معها في انجازات معمارية كالتى كانت سائدة في نفس العصر في مصر الفرعونية أو بابل وأشور أو ايران أو الهند .

وقد بقي هذا الهيكل حتى خربه بختنصر فحما أثره محواً تماماً في القرن السادس قبل الميلاد . وربما دخلت حجارة من أنقاضه في أبنية متأخرة ، ظن بعض الباحثين ، بحسن نية أو للمغالطة وتشويه التاريخ ، أنها بقايا من انجازات سليمان .

### الهيكل الثاني

كان هم العائدين من السبي البابلي الذي دام سبعين سنة أن يبسطوا سلطانهم مرة أخرى على فلسطين ، وأن تقوم لهم دولة ، تحت وصاية «قورش» امبراطور ايران في القرن الخامس قبل الميلاد ، وأن تكون هذه الدولة قنطرة للتوسع العسكري الفارسي في الشرق الأوسط ، الذي انتهى باستيلاء قمبيز على مصر نفسها . وإذا كان السادة الفرس لم يعطوا اليهود «وطناً قومياً» الا بشروط معينة خلاصتها الولاء التام والتبعية المطلقة لسياستهم بخيرها وشرها فان اليهود ارادوا أن يعيدوا بناء اورشليم ، وتشيد هيكل سليمان ، حتى تكون هذه الواجهة أمام الناس تعمية على التبعية التي رضخوا لها صاغرين . ولقد حاولوا جاهدين أن يبنوا الهيكل الثاني على نفس المخطط الذي بنى عليه الهيكل الأول ، هيكل سليمان ، وانتهى البناء في عهد دارا الأول الفارسي .

كان الذين عادوا من السبي نحو أربعين ألف يهودي أو يزيدون قليلاً ، وكان على رأسهم «يوشع بن يوصدق» و «زروبابل بن شلتابل» ، فبدأ ببناء مذبح للمحركات في الهواء الطلق على جبل الهيكل الذي كان وقتها خراباً وفي اليوم الأول من الشهر السابع من عودة اليهود من بابل إلى فلسطين كانت الطقوس تقام أمام هذا المذبح ، ثم لما لحق «عزرا» و «نحميا» بالعائدين إلى فلسطين من اليهود بدأت أعمال البناء والنحسين وإقامة أسوار اورشليم تتخذ شكل الانجاز النشيط ، رغم بعض العقبات التي كانت تقيمها الحكومة الفارسية من حين لآخر ، ورغم مقاومة غير منظمة قام بها أمراء حوران وعمان والجزيرة العربية ، والفلسطينيين المتمركزين في اشدود (سفر نحميا الاصحاح الرابع وما بعده) .

وهذا الهيكل الثانى أيضاً انتهى أمره بالدمار التام بعد اقامته بخمسة قرون على يد تيتوس الرومانى . يقول يوسفوس فى كتابه «حرب اليهود» (الجزء الخامس . الفصل الرابع ، الفقرة الثالثة) : «وكان تيتوس كلما وجد الجنود الرومان قد فرغوا من قتل جميع الناس فى المنطقة التى يسيطرون عليها ، أمرهم أن يخربوا أورشليم ومعبدها وأن يقلبوها ظهرأ على عقب ، فيما عدا الابراج العالية التى كان يحرص على بقائها كشواهد على ما قام به من التدمير» . وهكذا احت معالم هذا الهيكل أيضاً الا بقايا نادرة ، مع ملاحظة أنه عند وصول تيتوس كان هيرودس . قبله بنحو قرن من الزمان ، قد أدخل تعديلات وتغييرات على الهيكل الثانى ، وعلى تخطيط المدينة نفسها ، كانت وحدها ، وبدون هدم أو تدمير ، كفيلة بجعل الوصول إلى التخطيط المعمارى المبدئى للهيكل الثانى أمراً يكاد يكون مستحيلاً ، بالرغم من كل المحاولات التى أراد الباحثون اليهود أن يخرجوا منها بمخطط معارى دقيق مستمد من عنعنات التلمود ومنهم الأثرى اليهودى «أيزنشتاين» مثلاً . وأما ماجاء من جعل الصخرة الشريفة هى نواة قدس الأقداس فقد بينا الشكوك القوية التى تحوم حول هذا ، وأولها ما ذكرناه من الاختلاف الشديد بين صخرة قدس الأقداس وصخرة المعراج النبوى المبارك من حيث الحجم والارتفاع عن الأرض .

وانطلاقاً من هذا المخطط التلمودى ، ومع الوصف الذى أورده المؤرخ يوسفوس وغيره ، نجدنا مضطرين إلى أن نسجل مرحلة ثالثة متطورة جداً من الهندسة الدينية اليهودية فى حالة معبد أورشليم ابان ظهور المسيح .

## هيكل هيرودس

وقد استفاد بعمق من العبارة اليونانية الرومانية ، وكادت تخفى منه للمامح الدالة على أصله اليهودي تماماً ، وهذا الهيكل هو الذى دمره تيتوس وشاه من الوجود سنة ٧٠ ميلادية ، وحائط المبكى كان على الأرجح جزءاً من جداره الغربى . واليهود يحرسون على تسميته حتى الآن « الجدار الغربى ».

## هيكل جوبيتر كبير آلهة الرومان

على أثر الثورة التى قام بها فى أورشليم ضد الحكم الرومانى الزعيم اليهودى «بركوكبا» جاء الامبراطور هديران (فى أوائل القرن الثانى الميلادى) وأزال كل شىء يهودى فى أورشليم حتى اسم المدينة كما قلنا ، وعلى انقاض الهيكل بنى معبداً رومانياً لكبير الآلهة «جوبيتر» ، وأقام تمثالا لهذا الاله وآخر للآلهة فينوس ، وجعل هذا الصرح على جبل أورشليم أشبه بمعبد الكايتول الواقع على أحد جبال روما السبعة . ولذا أعطاه اسمه شخصياً «اليوس» واسم «الكايتول» . وحرّم استعمال اسم أورشليم وأحل محلها الاسم الرومانى الذى صنعه هو «ايليا كاييتولينا» — حتى أصبح اسم أورشليم لفظاً تاريخياً يطلق فقط على المدينة التى كانت فى هذا المكان على عهد الملوك والانبياء من بنى اسرائيل ، وظلت المدينة تسمى «ايليا» ولا يسكنها اليهود حتى الفتح العربى فى القرن السابع الميلادى ، حيث كانت المنطقة الوثنية التى أنشأها هديران قد خربت ، وجاء ثانى الخلفاء الراشدين عمر بن الخطاب فأنشأ مسجداً بسيطاً لجنده ، هو نواة الحرم الشريف والمسجد الأقصى ، بعد أن كان الاسلام قد كرس تلك البقعة المباركة ، بوحى قرآنى ، وبمعجزة الاسراء والمعراج المحيرة للاذهان .





تم ، بمون الله وتوفيقه ، طبع هذا الكتاب بالهيئة العامة  
للكتب والاجهزة العلمية ، مطبعة جامعة الاسكندرية  
في يوم الأحد ١٨ يناير ١٩٧٠

**محمد يوسف البساطي**  
مدير المطبعة





